الفصل الأول

نحو علم اجتماع إسلامى

● مـــدخل :

لم يشهد العالم من قبل مثل ما يشهده عصرنا الحاضر من صراع فى الأفكار والآراء والاتجاهات ، سواء أكان ذلك فيما بين الأفراد أو الجماعات أو الدول ، كما لم يبلغ الصراع العالمى فى أية مرحلة من مراحل التاريخ ما بلغه اليوم من حيث انتشاره وشموله . وفى الوقت ذاته نجد أن فهم الانسان للظواهر والقوانين الطبيعية قد بلغ شأنا كبيرا .. ذلك أن الانسان قطع شوطا بعيدا فى سبيل التحكم فى البيئة المـادية ، فأخضع لسلطانه قوى وطاقات طبيعية ، فسخر الأرض والمـاء والهواء لخدمة أغراضه ثم انطلق يغزو الفضـاء .

ومع ذلك ، فالبقدر الذى يزداد به تقدم الانسان فى الكشف العلمى فى مجال العلوم الطبيعية .. بهذا القدر ذاته يزداد قلق الانسان وخوفه ويشتد ضيقة ويتعاظم تبرمه بالحياة ، كما يزداد توجسه من غيره من بنى جنسه وخوفه منهم وحقده عليهم . ان العالم اليوم أشبه بمريض نفسى يهزه الخوف ويبدده القلق ، وكثيرا ما نجد أن سلوكه ازاء هذا الخوف والقلق يـؤدى الى تدعيم الخوف والقلق ذاتهما . ان أعظم مشكلات الانسان شـــدة وأكثرها خطرا هو الانسان ذاته .. فمن المفارقات الغريبة فعلا أن يتقدم الانسان بهذه السرعة المذهلة فى محاولة فهم اسرار الطبيعة والتحكم فيها ، وأن يظل فى الوقت نفسه عاجزا هذا العجز الظاهر عن فهم ذاته والتحكم فيها .. أى فى مصيره .

لقد تردد الانسان طويلا فى محاولة اخضاع الدراسات المتصلة بالطبيعة

البشرية والسلوك الانسانى لنفس الأسلوب الذى استخدمه فى دراسة الطبيعة المادية ، متذرعا بأن الانسان هو الذى يقوم بدراسة البيئة المادية ويسيطر عليها ، واذن فهو أرقى منها وأسمى ، ومن هنا لا يستسيغ أن يطبق فى دراسة ذاته نفس الأسلوب الذى يطبقه فى دراسة البيئة المادية ، وهو القائم على الملاحظة والتجريب العملى . وهكذا أصبح ميدان البحث فى المسائل الانسانية مقصورا على التأملات الفكرية المجردة ، وقائما على المفاهيم الفلسفية ..

ومن هنا تأخر الانسان فى تطبيق أساليب التفكير العلمى ومنهج البحث العلمى فى دراسة دوافع سلوك الانسان وعاداته واتجاهاته وقيمه . ومما ساعد على استمرار هذا الوضع بالنسبة لدراسة السلوك الانسانى أن ارتباط الانسان بالقيم والعقائد والأفكار التى تتعلق بذاته وبحياته هى أشد عمقا من ارتباطه بالأفكار والعقائد والقيم المتصلة بالظواهر الطبيعية . ولذا كان طبيعيا أن يكون تحرر الانسان من هذه الاتجاهات التقليدية التى تتعلق به أصعب من تحرره من تلك التى تتعلق بالبيئة المادية . وعلى ذلك فاننا نجد أن ميدان العلوم الطبيعية قد تحرر منذ فترة طويلة من تلك الأفكار التقليدية التى عفا عليها الزمن وتقدمت تلك العلوم ونمت ، بينما لا تزال مثل هذه الأفكار تجد ملاذا ومرتعا خصبا فى مجال العلوم الانسانية . وقد أدى هذا الى صعوبة تغلب الانسان على كثير من المشكلات الاجتماعية الملحة التى تواجهه ، وأصبح لزاما عليه ـ فى ظل الظروف العصيبة التى التى تمر به فى عصرنا الحاضر ـ أن يعيد النظر فى المفاهيم المتعلقة بالعلوم الانسانية ومناهج البحث المتعلقة بها .

ولعل الحاجة الى اعادة النظر فى تلك المفاهيم ومناهج البحث هى التى دعت الكثير من الجامعات والمعاهد العلمية ومراكز البحوث والمنظمات الدولية الى توجيه عناية خاصة الى تلك العلوم ، بقصد اعادة النظر فيها وتحريرها من كل ما سادها من مفاهيم خاطئة سيطرت على تفكير الكثيرين . وعلى ذلك فقد كثرت الدراسات وتعددت البحوث السلوكية التى تستند الى

أسس علمية ، بقصد تنقية هذه المفاهيم من الشوائب التى علقت بها وتطوير مناهج البحث فى العلوم الانسانية(١) ٠

* * *

التطور التاريخى لمفهوم الطبيعة الانســـانية

من الأمور المـألوفة أن يهتم الانسان فى كل معاملاته مع غيره بفهم دوافع سلوكهم وتصرفاتهم المحتملة أو المتوقعة فى المواقف المختلفة ٠ اننا جميعا بحاجة الى أن نحدد تعاملنا مع غيرنا من الأفراد بحسب ما نتوقع من قبولهم ورضاهم ، أو عدم قبولهم وسخطهم على ما نفعل أو نقول ٠٠ فالصديق يحاول أن يرضى صديقه بعمل ما يرضيه ويريحه ، والبائع يحاول أن يجذب عميله بما يعرفه من صفات العميل وشخصيته فيبذل جهده للتأثير عليه حتى يقبل على شراء سلعته ٠ والأب يحاول أن يتعرف على شخصيات ابنائه وما يسرهم وما يضايقهم فيعمل على التعامل معهم بالشكل الذى يؤدى الى توجيههم وحسن تنشئتهم ، وهكذا ٠٠ فكل منا بحاجة الى فهم اتجاهات الأفراد والجماعات وعاداتها حتى نتعامل معها على احسن وجه ٠

وهكذا نجد انه حينما يجتمع الانسان باخيه الانسان ، فان العلاقات الانسانية ومشكلات السلوك الاجتماعى تصبح من الأهمية بمكان ٠ فليس بالعجيب اذن أن نجد سلوك الفرد والجماعة والسلوك الاجتماعى ودوافع هذا السلوك وأساليب تكوينه وتنميته وتعديله والظروف الملائمة لكل هذا ، وكذلك انحرافه وما قد يواجهه من مشكلات ــ كل ذلك قد شغل اذهان المفكرين منذ أقـدم العصور ٠ وسوف نعرض فيما يلى موجزا لوجهات النظر الأساسية فى الطبيعة الانسانية وتفسير السلوك الاجتماعى(٢) :

ــ اقترح « أفلاطون » منذ أكثر من ألفى سنة فى كتابه « الجمهورية » نظاما اجتماعيا مثاليا لتحقيق العدالة ٠ وكان قوام هذا النظام وضع كل

---

(١) سيد عبد الحميد مرسى ، **العلوم السلوكية فى مجال الادارة والانتاج** (ط ٢) ، القاهرة ــ مكتبة وهبة ، ١٩٨٤ ، ص ١٣ ــ ١٤

(٢) نجيب اسكندر ابراهيم وآخرون ، **الدراسة العلمية للســـلوك الاجتماعى** ، القاهرة ــ مؤسسة المطبوعات الحديثة ، ١٩٦٠ ، ص ٢ ــ ١٢

فرد من أفراد المجتمع فى المكان الذى يلائم استعداداته وامكاناته الفطرية · ومعنى هذا أن «أفلاطون» أقام النظام الاجتماعى لجمهوريته على أساس منطقى نابع من فكرته عن الطبيعة البشرية وعن السلوك الاجتماعى · وقد استهدف بهذا النظام أن يتحقق أمن الفرد من خلال تحديد العلاقات الاجتماعية بين طبقات المجتمع ، وبذلك يتحقق الاستقرار وتكفل العدالة للمجتمع ، لأن كل طبقة سوف تعمل جهد طاقتها فى المجال الذى يناسب طبيعتها · وهكذا نجد «أفلاطون» قد جعل الفطرة أو الطبيعة الفطرية للانسان هى قوام النظام الاجتماعى ·

وجدير بالذكر أن «أفلاطون» كان فيلسوفا من طبقة الأشراف عاش فى مجتمع طبقى ، وكان طبيعيا أن يحرص على ابقاء الوضع الطبقى الذى يحقق مصلحة طبقته وبالتالى مصلحته الخاصة ·

ـ فاذا جاوزنا « أفلاطون » الى « أرسطو » نجد أنه قريب الشبه بأفلاطون ، فهو وارث مجتمع أغريقى عبودى ، وقد نظر الى طبيعة الانسان على أنها طبيعة فطرية هى أساس سلوكه الاجتماعى · وقد عبر عن تأثره بالأوضاع الطبقية للمجتمع الذى عاش فيه بشكل واضح عندما قال : « ان أناسا يولدون عبيدا بالفطرة ، وأنهم يشكلون قطاعا اجتماعيا لا يصلح الا للانتاج ، مثلهم فى خدمة المجتمع مثل الآلات أو السائمة » ·

ـ واذا انتقلنا الى « العصور الحديثة » نجد أن المفكرين والفلاسفة فى هذه العصور قد حاولوا أن يسبروا غور العلاقات الاجتماعية ، وأن يفسروا السلوك الاجتماعى تفسيرا يتفق وما يتبنون من مذاهب فكرية واتجاهات فلسفية ·· فنجد « توماس هوبز » مثلا وهو من نتاج عصر النهضة ـ أى عصر التجارة والحكم الملكى المطلق فى القرن السابع عشر ـ يفسر الحياة تفسيرا ماديا ، فيفسر العلاقات الانسانية والسلوك الاجتماعى على أساس مفهومه عن الطبيعة الفطرية للانسان · وهذه الطبيعة الفطرية ـ فى نظره ـ حياة فردية فقيرة أنانية ، قوامها حب الذات ، ومن ثم فهو يرى أن جوع الانسان وعطشه وخوفه ودوافعه وسعيه وراء اللذة وهربه من الألم ـ كل أولئك هى الخصائص التى تحدد علاقات الانسان بغيره من

الناس ، أى تحدد سلوكه الاجتماعى ·· وبعبارة أخرى يذهب « هوبز » الى أن الناس ما عاشوا معا وما كونوا مجتمعات الا بقصد اشباع حاجاتهم الفردية وتجنب المخاطر التى تحدق بهم ، أى أن نشأة المجتمع الانسانى وتطوره وتقدمه انما تقوم على أساس الخوف وحب الذات ·

ـ ويقترب « سبينوزا »(٣) فى القرن السابع عشر من رأى « هوبز »، فيعتبر أن الانسان فى مبدأ حياته كان يعيش فى حالة عزلة نسبية بدون قانون أو تنظيم اجتماعى ، وأنه كان خاضعا فى سلوكه وتصرفاته لأهوائه الذاتية ومصالحه الخاصة ، ولم يكن لديه فى عزلته معنى أو معايير للصواب والخطأ أو العدالة والظلم ، وانما كانت القوة أو الحق أو الغلبة عنده شيئا واحدا · وفى رأيه أن التنظيم الاجتماعى هو نتاج خوف الانسان وما يتعرض له من أخطار ومكاره ، وأن التنظيم الاجتماعى يبدأ بعد هذا فى تنمية الغرائز الاجتماعية وتدعيمها ، كما أوضح أن التنظيم الاجتماعى يقوم على أساس الاتجاهات التى يرضى عنها جميع الأفراد · وهكذا نرى « سبينوزا » يتجه نحو الديمقراطية ، بخلاف « هوبز » الذى كان من دعاة الحكم الملكى المطلق ، وان كان الأساس الذى بدأ به « سبينوزا » فيما يتعلق بالطبيعة الانسانية مشابها الى حد كبير للأساس الذى بدأ به « هوبز » ·

ـ وفى القرن الثامن عشر ، وهو الذى يطلق عليه « عصر الاستنارة » نجد فيلسوفا آخر تتحدد فلسفته الى حد كبير بنوع الحياة التى عاشها ، وبالخبرات التى تعرض لها ، والتى كان يعانيها غالبية أفراد الشعب ·· ذلك الفيلسوف هو « جان جاك روسو » الذى يعتبره البعض القائد الفكرى للثورة الفرنسية · فلقد أحس « روسو » باحساس عامة الشعب ، فثار على طغيان الطبقة الحاكمة ، وعلى الظلم والاستبداد اللذين تميز بهما الحكم فى عهده ، كما ثار على التقاليد التى فرضتها الطبقة الأرستقراطية آنذاك ·· فاعلن عن رأيه فى نظام الحكم بأنه تعاقد اجتماعى بين الحاكم

---

(٣) Durant, W.; **The Story of Philosophy** . (New York : Pocket Books, 1953) , pp . 190 - 191.

والمحكوم ، وبأن من حق الشعب أن يسحب ثقته بالحاكم وأن يقيله من منصبه · واعتبر « روسو » أن الانسان خير بطبيعته ، وأن النظم الاجتماعية الفاسدة هى التى تفسد الانسان · ومعنى هذا أن « روسو » قد افترض أن مصدر الشر خارج عن الفرد ، أى فى المجتمع ذاته ، وان الطبيعة الانسانية فى ذاتها خيرة ، وأن الفرد اذا ترك لطبيعته ، أى لغرائزه ، فانه ينمو نموا سليما ويصبح محبا للخير · والمغزى هو أن « روسو » قد نظر الى الانسان والى المجتمع نظرة فردية ، فيها ثورة على الظروف الاجتماعية السيئة التى عاشها وعانى منها ·

واذا تأملنا ما سبق ذكره من الأمثلة التى أوردناها نستخلص أن نظرة المفكر أو الفيلسوف الى الطبيعة الانسانية أو السلوك الاجتماعى كانت تشتق من واقع الظروف الاجتماعية التى تكتنفه بوجه عام ، كما أنها كانت تتأثر بالظروف الخاصة التى تحيط به ·

ـ ولقد تطور التفكير فى القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر نتيجة لانتشار قواعد الطريقة العلمية بوجه عام ، فأدى ذلك الى البدء فى استخدام هذه الطريقة فى كثير من ميادين البحث ، وبدأت العلوم الاجتماعية يستقل بعضها عن البعض الآخر كما أن معالمها قد أخذت تتحدد بالشكل الحديث التى هى عليه · ولكن نقطة البداية فى تلك البحوث ـ وخاصة فى العلوم السلوكية ـ كانت متأثرة الى حد كبير بالمسلمات السابقة عن الطبيعة الانسانية ، بما فى ذلك المعتقدات الدينية التى انحدرت من القرون الوسطى ، وبما احتوته تلك المسلمات من مفارقات ومتناقضات فى الآراء والاتجاهات · وكان من أثر ذلك أن وجد الباحثون فى الطبيعة الانسانية صعوبة كبرى فى التوفيق بين الاتجاهات والآراء والمسلمات المتنوعة كثيرة العدد ·

ـ ثم كانت نظرية « دارون » فى القرن التاسع عشر ، التى تعتبر من أكبر العوامل التى تركت أعمق الأثر فى توجيه التفكير الانسانى بصفة عامة وفى الموضوعات المتعلقة بأصل الانسان وبسلوكه بصفة خاصة · فقد أدت هذه النظرية الى حركة ثورية فى العلوم البيولوجية ، وكان لا بد لها أن

تترك أثرها فى تفكير الفلاسفة والمفكرين فيما يختص بالطبيعة الانسانية ٠ ومن رأى « دارون » أن الانسان لديه بعض الغرائز التى يشترك فيها مع الحيوان مثل المحافظة على الذات ٠ وقد حاول « دارون » أن يفسر النزعات الاجتماعية للانسان على أساس نظريته فى الغرائز التى تحدد علاقة الانسان بغيره ، وهى نزعات غير مكتسبة مثل الاهتمام الأبوى والمساعدة المتبادلة والاهتمام بصحبة الآخرين واللذة فى الاجتماع بهم ٠ وقد فسر « دارون » السلوك الخلقى على هذا النحو أيضا فاعتبر القيم نزعات موروثة ٠

وتعتبر نظرية التطور التى جاء بها « دارون » ذات أهمية خاصة فى المدخل الى دراسة السلوك الانسانى ، اذ أنها وضعت الانسان ـ بما فى ذلك أكثر سماته علوا وتعقيدا ـ فى المجال الطبيعى ٠ وكان من نتيجة استخدام الأسلوب العلمى فى دراسة السلوك الانسانى بشتى صوره أن أصبح ينظر الى الأخلاق مثلا على أنها أنماط سلوكية بدلا من كونها قيما مجردة ، كما صار التغير أو النمو فى القيم الخلقية يفسر على أنه وسيلة تساعد الانسان فعلا فى صراعه من أجل البقاء ٠

ـ وقد أثرت هذه الاتجاهات فى طرق التفكير بصفة عامة ، وفى الطبيعة الانسانية والسلوك الانسانى بصفة خاصة ٠٠ وخلاصة القول هى أن اتجاهات الدراسة فى الطبيعة الانسانية والسلوك الانسانى قد تنوعت طرقها وصورها ، وكان من نتيجة ذلك أن تعددت وجهات النظر فى علم النفس فى أواخر القرن الماضى ومطلع القرن الحالى ، فأضحت كل وجهة نظر تمثل مدرسة فكرية فى علم النفس محددة المعالم ، وكان لكل مدرسة مسلماتها ونظرياتها وتجاربها وأتباعها ٠٠ فهذه « نظرية تركيبية » لتحليل الشعور والحالات الشعورية ، وتلك « نظرية وظيفية » تهتم بوظيفة العملية السيكلوجية قبل الاهتمام بالتركيب ٠ وثالثة « نظرية ترابطية » تفسر السلوك الانسانى على أساس الفعل المنعكس مع ادخال التفسيرات العقلية التى تتوسط المثير والاستجابة ٠ ونظرية رابعة باسم « النظرية السلوكية » هاجمت التفسيرات العقلية واعتبرتها تفسيرات غيبية لا تتفق مع الاتجاه العلمى ٠ وصاحب ذلك قيام « نظريات الغرائز » معتمدة على الأساس الفلسفى الذى وضعه « روسو » فى القرن الثامن عشر ثم على

ما ذكره « دارون » فى كتابه « نشوء الانسان » فى القرن التاسع عشر ، وقد هوجمت هذه النظرية بشدة حتى اختفت أو كادت تختفى من ميدان التفسيرات العلمية للسلوك ٠

وقد أسهم الطب النفسى فى تطور الدراسات النفسية والسلوكية ٠ وأدى ذلك الى أن وضع « فرويد » نظريته فى التحليل النفسى ، وهى نظرية لهـا أهميتها وقيمتها ولا زالت تحتل مكانة كبيرة خاصة بها ، وان لم تخل أيضا من النقد الموجه اليها حتى من تلاميذ « فرويد » الذين انشقوا عليه أمثال « ادلر » و « يونج » ٠ وقامت فى المانيا فى الوقـت نفسـه « نظرية الجشطلت » التى استعانت بمفهوم المجال فى الطبيعة لتفسير السلوك الانسانى ٠٠

وما يعنينا فى هذا الشأن هو أن كل نظرية قد تأثرت بالظروف والمعالم الاجتماعية التى سادت المجتمع وقت ظهورها ٠ وأصبحت المشكلة هى التوفيق بين هذه النظريات والخروج منها باتجاهات موحدة ونظريات عـامة ٠٠

* * *

مفهوم العـلوم السلوكية(٤)

يعتبر مصطلح العلوم السلوكية من الاضافات الحديثة الى العـلوم الانسانية ، حيث شـاع استخدامه فى السـنوات الأخيرة ليعبر عن مجموعة من المبـادىء والمفاهيم الأسـاسية التى تستهدف تفسـير السـلوك الانسانى ووضع أسس التنبؤ به والسيطرة عليه ٠ ولقد استقر العرف العلمى على تقسيم فروع المعرفة الانسانية المختلفة الى قسمين أساسيين هما :

أولا ـ العلوم الطبيعية : وتختص بدراسـة ظواهر الطبيعة المـادية وتحليلها ومحاولة التوصل الى مفاهيم واضحة تفسر نشأة تلك الظواهر ٠ وتعلل التغيرات والتطورات التى تطرأ عليها ٠ وتضم هذه المجموعة علوم الطبيعة والكيمياء والجيولوجيا ، كما تشمل العلوم التى تدرس التركيب

---

(٤) سيد عبد الحميد مرسى ، **مرجع سابق** ، ص ٢١ ـ ٢٨ ٠

الفسيولوجى وتحليل التطورات البيولوجية للانسان مثـل علوم التشريح ووظائف الأعضاء ٠

ثانيا ـ العلوم الاجتماعية (الانسانية) : وتختص بدراسة وتحليل الظواهر الاجتماعية التى تنشأ بحكم حياة الانسان فى جماعات تتفاعل سعيا وراء تحقيق أهداف فردية وجماعية ٠ وتضم العلوم الاجتماعية عادة المجالات الآتية من المعرفة الانسانية : الأنثروبولوجيا (علم الانسان) ، الاقتصاد ، التاريخ ، العلوم السياسية ، علم النفس ، علم الاجتماع ، والتربية ٠

ومن الواضح أن هذا التقسيم لا يقيم حدودا فاصلة وقاطعة بين فروع المعرفة الانسانية نظرا لمـا تتصف به كل من الطبيعة المادية والانسانية من تعقيد وتشابك ٠ لذلك نجد درجات مختلفة من التداخـل بين العلـــوم الطبيعية والاجتماعية وبين العلوم المكونة لكل من المجموعتين فيما بينها ٠ مثال ذلك أن علم النفس وهو من العلوم الاجتماعية يتداخل مع بعض العلوم الطبيعية حين يسعى الى دراسة تركيب المخ الانسانى ومحاولة البحث عن أسباب بعض مظاهر السلوك الانسانى ومحدداته فى التركيب الفسيولوجى للفرد وهو ما يعرف باسم « علم النفس الفسيولوجى » ، ودراسة مراحل نمو الفرد من النواحى العضوية والعقلية فى « علم النفس التعليمى » وكذلك نجد تداخلابينعلم النفس والعلوم الطبيعية حين يحاول علماءالنفسالتعرف على تأثير بعض الظواهر الطبيعية كالصـوت والضـوء فى ادراك الأفراد ومدى شعورهم بالتغيرات البيئيـة وانعكاس ذلك الادراك على السـلوك الانسانى ٠ وكذلك نجد فى محيط العلوم الاجتماعية تداخلا بين العلوم السياسية وعلم التاريخ ، أو بين علم الاقتصاد وعلم الاجتماع أو بين علم النفس وعلم الاجتماع أو بين التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع ٠

وقد استقر رأى كثير من الكتاب فى مجال العلوم السـلوكية على تحديدها فى أربعة من فروع المعرفة الانسانية هى :

١ ـ علم النفس ٠ ٢ ـ علم الاجتماع ٠

٣ ـ علم الأنثروبولوجيا ٤ ـ التربيـة ٠

والصفة الأساسية التى تميز تلك العلوم الأربعة هى اهتمامها بدراسة سلوك الناس وتصرفاتهم فى مختلف المواقف والظروف . أى أن ما يجمع بين العلوم السلوكية ويبرر فصلها فى مجموعة متميزة عن باقى العلوم الاجتماعية هو انها تتخذ موضوعا مشتركا للبحث والدراسة هو « السلوك الانسانى » .

ان السبب فى اطلاق صفة « السلوكى » على أى من العلوم الاجتماعية أن يتوافر فيه شرطان : الأول أن يكون مجال دراسته هو السلوك الانسانى فى أى مظهر من مظاهره ، بمعنى أن يكون العلم مهتما اهتماما رئيسيا بتفسير مظاهر السلوك الانسانى والتنبؤ بأوضاعه المستقبلية . أى أن يكون الهدف هو تقديم تفسير واضح للأسباب والعوامل المحددة للسلوك الانسانى بشكل عام أو لفئة من الناس أو فى ظل ظروف بيئية واجتماعية معينة .

والشرط الثانى هو أن تتم دراسة السلوك الانسانى باستخدام « الأسلوب العلمى » . وتتضح مظاهر الاتجاه العلمى فى نشاط الانسان فى مجالات الحياة المختلفة . فالهدف النهائى للعلوم السلوكية هو فهم أشكال السلوك الانسانى المختلفة وتفسيرها ومن ثم يستخدم هذا الفهم أساسا للتنبؤ بالسلوك المستقبل والتحكم فيه والسيطرة عليه ، بمعنى توجيهه ناحية معينة بدلا من الاتجاه المتوقع .

نخلص مما تقدم بأن تعبير « العلوم السلوكية » يشير الى تلك الفروع من علم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا والتربية التى تهتم بدراسة السلوك الانسانى مستخدمة الأساليب والطرق العلمية التى تعكس بشكل مباشر سلوك الأفراد والجماعات .

وسنتناول الآن الموضوعات الأساسية لكل علم من العلوم السلوكية وأبراز نقاطها الأساسية :

أولا ـ علم النفس :

علم النفس هو أحد العلوم السلوكية التى تسعى لتفهم حقيقة السلوك الانسانى ومسبباته ، وتتلخص موضوعاته ومجالات البحث فيه فى الآتى :

١ ـ الوراثة والبيئة وأثرهما فى سلوك الفرد ٠
٢ ـ التنشئة الاجتماعية ٠
٣ ـ مراحل النمو وخصائصها ٠
٤ ـ النضـج العقلى ٠
٥ ـ الدوافـع ٠
٦ ـ الانفعالات ٠
٧ ـ الفروق الفردية وأهميتها كمحددات للسلوك ٠
٨ ـ القدرات العامة وقياسها ٠
٩ ـ القدرات الخاصـة وقياسها ٠
١٠ ـ الميول والاتجاهات وقياسها ٠
١١ ـ الشخصية ومكوناتها وقياسها ٠
١٢ ـ الادراك والفهم والتفكير ٠
١٣ ـ التعـليم ٠
١٤ ـ تطبيقات علم النفس فى المجالات التعليمية والمهنية والاجتماعية٠

وهناك فروع نظرية وفروع تطبيقية لعلم النفس ٠ فتتضمن الفروع النظرية : علم النفس المقـارن (علم نفس الحيـوان) ، وعلم النفس الفسيولوجى ، وسيكولوجية النمو (علم نفس الطفل) ، وعلم نفس الشواذ أو علم النفس المرضى ٠ وتشـتمل الفروع التطبيقيـة على : علم النفس الاجتماعى ، وعلم النفس التربوى (التعليمى) ، وعلم النفس الصناعى ، وعلم النفس المهنى ، وعلم النفس العسكرى ، وعلم النفس الاكلينيكى (العلاجى) ، وعلم النفس الادارى ، وعلم النفس الارشادى ٠

* * *

ثانيا ـ علم الاجتماع :

هو ذلك العلم الذى يدرس الانسان فى علاقته بالبيئة التى تحيط به بعنصريها الانسانى والطبيعى · ونقطة التركيز فى علم الاجتماع هى دراسة أنواع العلاقات التى تنشأ بين الأفراد المختلفين ، فهو يركز على دراسة العلاقات الاجتماعية أو التركيب الاجتماعى وغيره من الظواهر الاجتماعية وتتلخص أهم مجالات البحث فى علم الاجتماع فيما يأتى :

١ ـ دراسة المجتمع ·

٢ ـ طبيعة التفاعل الاجتماعى :

(أ) التفاعل بين الأفراد ·
(ب) التفاعل بين الفرد والجماعات ·
(جـ) التفاعل بين الفرد والثقافة العامة ·

٣ ـ أنواع التفاعل الاجتماعى :

(أ) المنافسة ·
(ب) التعاون ·
(جـ) الصراع ·
(د) المهادنة ·
(هـ) التقليد والاقتراح ·

٤ ـ دراسة الفرد والمجتمع ·

٥ ـ دراسة النظم الاجتماعية .

(أ) النظم الاقتصادية ·
(ب) الأسرة ·
(جـ) النظم الدينية ·
(د) النظام السياسى ·
(هـ) النظام التعليمى ·
(و) الرعاية الاجتماعية ·

ومن أهم فروع علم الاجتماع نجد علم الاجتماع الريفى وعلم الاجتماع الحضرى ، وعلم الاجتماع الاقتصادى ، وعلم الاجتماع الدينى ، وعلم الاجتماع الصناعى ، وعلم الاجتماع التربوى ٠

* * *

ثالثا ـ علم الأنثروبولوجيا :

يدرس علم الأنثروبولوجيا الانسان بغض النظر عن الزمان والمكان ويحاول دراسة كل الأنماط السلوكية التى تسود فى مجتمع معين وتحديد كافة مظاهر الحضارة التى تميز هذا المجتمع ٠ وقد كان التزام علماء الأنثروبولوجيا بهذه النظرة الشاملة المتكاملة سببا فى تركيز دراساتهم على المجتمعات البدائية او شبه البدائية نظرا لما تتميز به من صغر الحجم بحيث يصبح تطبيق المنهج المتكامل فى البحث أمرا ممكنا ٠ ونظرا لتشعب مجالات البحث فى موضوع الانسان نجد أن نوعا من التخصص بدأ يظهر فى علم الأنثروبولوجيا ونستطيع أن نميز منها ما يأتى :

١ ـ **الأنثروبولوجيا الطبيعية :** وتختص بدراسة جسم الانسان من حيث صفاته ومقاييسه وأصوله واشكاله السابقة والمتطورة ٠ ويرتبط هذا الفرع بالعلوم الطبيعية خاصة علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم الحياة (الأحياء) ٠

٢ ـ **الأنثروبولوجيا الحضارية :** تدرس « الحضارة » بمعنى طرق وأساليب المعيشة فى مجتمع معين ٠ ومن أهم عناصرها اللغة وكل ما يصنعه الانسان من عناصر الحياة المادية مثل المبانى والمعدات ، كما يشمل مفهوم الحضارة طبيعة العلاقات الاجتماعية وأنماطها والنظم التى تحدد أساليب الحياة فى المجتمع ٠ ويقصد بالحضارة ذلك الكل المتكامل للأنماط السلوكية المكتسبة التى يأخذ بها معظم الأفراد فى مجتمع معين ٠ وينقسم علم الأنثروبولوجيا الحضارية الى الأفرع التالية :

(أ) **الأثنولوجيا :** وتختص بالدراسة الوضعية للمجتمعات الانسانية ، وخاصة المجتمعات البدائية ذات النظم السياسية والاقتصادية البسيطة

المحدودة . وتتميز هذه الدراسات بالناحية النظرية وباهتمامها الواضح بتاريخ الشعوب والأمم .

(ب) **الأنثروبولوجيا الاجتماعية :** وتهتم بدراسة البناء الاجتماعى للمجتمعات الانسانية وتحليله . والتعرف على درجة الترابط والتفاعل بين النظم الاجتماعية السائدة .

(جـ) **علم الآثار :** ويهتم بدراسة التغير الحضارى الذى حدث خلال الزمن مع التركيز على تصنيف آثار هذه الحضارات منذ عصر ما قبل التاريخ الى العصور التاريخية المختلفة .

(د) **علم اللغويات :** ويركز على دراسة اللغات باعتبارها أنماطا أساسية من أنماط الحضارة .

* * *

رابعا ـ التربيـــــة :

التربية وظيفة اجتماعية تستمد ضرورتها وتحتسب مدلولها ومفهومها الحقيقى من الأهداف التى تعمل على تحقيقها ومن الغـايات التى تسعى الى الوصـول اليها . والتربية بهذا لا يمكن أن تكون مجرد فلسـفة بعيدة عن واقع الحياة كما لا يمكن أن تكون مجرد وسـائل وأسـاليب تتجـه نحو تحقيق غايات ومثـل عليـا بنيت على أساس من التفكير المنطقى أو النظرى وحده ، وانما ينبغى أن تكون التربية تعبيرا وانعكاسا للاتجاهات السائدة فى المجتمع والمثل الحقيقية التى يتخذها المجتمع أهدافا له ، وهذه الاتجاهات والمثل والأهداف هى وحدها التى ينبغى أن تحدد فلسفة التربية وأساليبها ومناهجها ومواد الدراسة وطرق التدريس .

ولكل مجتمع نمطه التربوى أو أنماطه الثقافية التى تتلاءم مع أوضاعه ومطالبه الاجتماعية والثقافية والسياسية ومع ما يفرضه نظام الحياة القائمة فى المجتمع . والفرد التى تسعى التربية الى تنشئته واعداده ليس بالفرد المثالى ، وانما هو الفرد الذى يتطلبه مجتمع بعينه والذى تتطلبه اقتصاديات هذا المجتمع وظروفه الخاصة اجتماعية كانت أم سياسية ، والتربية هى

وسيلة المجتمع لتأمين استمرار حياته وتطوره · كما ان الفرد الذى يعيش فى مجتمعه لا يستطيع أن يحيا فى عزلة أو بعيدا عن الأحداث التى تدور فى المجتمع والتى يتفاعل معها فيتأثر بها وتؤثر فيه ·

وبهذا المفهوم للتربية نجد أن النشاط التعليمى فى مجتمعنا العربى يسعى الى تحقيق الأهداف التربوية فى المراحل التعليمية الآتية :

١ ـ المرحلة الابتدائية ·
٢ ـ المرحلة الاعدادية العامة (المتوسطة) ·
٣ ـ المرحلة الثانوية العامة ·
٤ ـ التعليم الفنى : زراعى ، صناعى ، تجارى ·
٥ ـ التعليم العالى : جامعات ومعاهد عليا ·
٦ ـ معاهد وكليات اعداد المعلمين ·

* * *

● **المدخل المتكامل لتفسير السلوك الانسانى :**

من دراسة العلوم السلوكية تتضح حقيقة هامة تلقى الضـــوء على سبل دراسة السلوك الانسانى وتفسيره وهى تتركز فى أن الانسان يمثل نظاما متكاملا تتكون منه أجزاء متعددة يختص كل منها بأداء وظيفة محددة · ولذلك فان السبيل العلمى الوحيد لفهم السلوك وتفسيره ، هو عن طريق النظر الى جوانبه المختلفة فى آن واحد وعدم الاقتصار على دراسة بعض جوانبه دون الأخرى · ولقد اتضح من الدراسات السلوكية أن الانسان له دوافع متعددة ومعقدة ، وعلى الرغم من وجود صفات متماثلة بين الأفراد جميعا الا أن هناك جانبا أساسيا من الاختلافات الفردية بينهم · وعلى هـذا الأساس فاننا لا نتوقع أن يتصرف كل الأفراد بنفس الطريقة استجابة لنفس المؤثر · وعلى ذلك فان الأساس الأول فى فهم السلوك الانسانى هو تحليل ذلك السلوك من الداخل أى معرفة الدافع أو الباعث عليه ·

ومن ناحية أخرى فالانسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن غيره من الأفراد ، لذلك كان من الضرورى أن نأخذ المؤثرات الاجتماعية فى الاعتبار

عند تحليل السلوك الفردى · وبذلك نستطيع أن نلخص المؤثرات الرئيسية على السلوك الانسانى فيما يأتى :

١ ـ هناك عدد من الدوافع والقوى الداخلية التى توجه السلوك الانسانى فى اتجاه المحافظة على الحياة والبقاء ·

٢ ـ الانسان عضو فى مجتمع كبير ، فهو سيتأثر بطبيعة الثقافة والحضارة التى يعيش فيها ، ويصبح لتلك القوى الاجتماعية تأثير شديد على أساليب وانماط السلوك التى يتبعها ·

٣ ـ فى ذات الوقت تجد الفرد يخضع لتأثير الجماعات الصغيرة التى يعيش معها كالعائلة والأقارب وجماعات الأصدقاء وجماعات العمل فلكل من تلك الجماعات عاداتها وتقاليدها التى تؤثر على تفكير الفرد وتحدد له انماط السلوك التى يجدر به اتباعها حتى يستمر فى الاحتفاظ بعضوية تلك الجماعات ·

٤ ـ لكل فرد « شخصية » متميزة تختلف عنها فى غيره من الأشخاص، وتلك الشخصية هى نتاج التفاعل بين حاجات الفرد ورغباته وخبراته والبيئة التى يعيش فيها · وقد يكون الفرد قلقا غير مستقر أو قد يكون طابع شخصيته العدوان والتسلط ، أو قد يصبح انطوائيا أو سلبيا · ويحدد ذلك النوع من الشخصية بعض أنماط السلوك الانسانى ويساعد على تفسير تصرفات الفرد ·

٥ ـ وبالاضافة الى ما سبق فان هناك أنماطا عامة للسلوك والتصرف تنمو بحكم الانتماء الى بيئة معينة أو جماعة محددة ، فنجد مثلا سكان الريف يختلفون فى أنماط سلوكهم عن سكان المدينة ·

* * *

مفهوم علم الاجتماع

يعزى الى الفيلسوف الفرنسى « أوجست كومت Auguste Comte » انه أطلق على هذا العلم اسم « علم الاجتماع » وبذل الجهد الكبير فى تحديد علاقته بالعلوم القديمة والقائمة فى ذلك الوقت · وتبدو أصول الفكر

الاجتماعى فى كتابات فلاسفة اليونان بخاصة « افلاطون » و « ارسطو » ، حينما حاولا ان يقيما النظام الاجتماعى المثالى ، فوضع كل منهما صورة او تخطيطا مثاليا للمجتمع الذى كان يعيش فيه ٠٠ ولعل عرض «ماكيافيلى» فى كتابه « الأمير » للمبادىء والأسس التى تقوم عليهـــا الدول الناجحة وللقواعد التى يسترشد بهـا القائد الناجح تعتبر من الكتابات السياسية التى تعرضت للتحليل الموضوعى للقوى الاجتماعية ، ذلك الذى سـبق كتابات « فيلر » و « مونتسيكو » اللذين حاولا صياغة قوانين طبيعية لتطور المجتمع ٠ هذا ولم يكن « كوندرسيه » اقل انشغالا من قرنائه فلاسفة التاريخ فى البحث عن قوانين للتقدم البشرى ٠ أما « سان سيمون » فعلى الرغم من انه يعد مصلحا مثاليا الا انه أكد أن الاصلاح الاجتماعى يمكن تحقيقه حينما يتم جمع البيانات العلمية الواقعية ، فالمجتمع حقيقة واقعية ويصلح موضوعا للدراسة العلمية لأنه يخضع لقوانين ثابتة(٥) ٠

والواقع أن « عبد الرحمن بن خلدون » يعتبر سابقا لجميع العلمـاء والكتاب الغربيين فى اسهاماته بالنسبة لعلم الاجتماع ٠ فلقد رأى «ابن خلدون» أن كتب التاريخ قد اشتملت على كثير من الأخبار غير الصحيحة ٠ وهداه تفكيره الى أن أسباب هذه الطائفة الزائفة من الأخبار يرجع الى الآتى :

الأمور الذاتية التى تتعلق بشخص المؤرخ وميوله واهوائه ومدى انقياده الى هذه الميول والأهواء ، والجهل بالقوانين التى تخضع لهـا الظواهر الطبيعية كالفلك والكيمياء والفيزياء والحيوان والنبات وتسجيل أخبـار تتنافى معها ، والجهل بالقوانين التى تخضع لها ظواهر الاجتمـــاع الانسانى ، مما أدى بالمؤرخين الى تسجيل أخبار تتنافى مع طبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الانسانى ٠ وقد حرص «ابن خلدون» على أن يرسم الطريق أمام الباحثين والمؤرخين لتجنب هذه الأسباب على النحو التـالى :

١ ــ أن يجرد المؤرخ نفسه من الهوى والتحيز وعوامل الانحراف عن الحق ، وان يقدم على بحوث التاريخ دون رأى مسبق ٠

---

(٥) محمد عاطف غيث ، **دراسات فى علم الاجتماع التطبيقى** ، القاهرة ــ دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٢ ، ص ٥ ــ ٧ ٠

٢ ـ الالمـام بالعلوم الطبيعية وقوانينها واستبعاد كل ما يتنافى معها ، خاصة وان هذه العلوم قد وصلت ـ حينئذ ـ الى درجة من النضج ، وكشف علماؤها طائفة كبيرة من القوانين التى تخضع لها ظواهر الطبيعة ٠

٣ ـ الالمـام بالقوانين التى تخضع لها ظواهر الاجتماع الانسانى ، طالمـا انها لا تسير حسب الأهواء والمصادفات ، وانما تحكمها قوانين ثابتة شأنها شأن الظواهر الطبيعية ٠ وللمؤرخين العذر فى الجهل بهذه القوانين لأنه لم يتم الكشف عنها بعد حتى عهد ابن خلدون ٠ ولا يمكن الكشف عن هذه القوانين الا بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية تستـــهدف توضيح طبيعتها وبيان العلاقات التى تربطها ببعضها وبغيرها وما ينجم عن هذه العلاقات من نتائج فى نشأتها وتطورها واختلافها باختلاف المجتمعات على مر العصـــور ٠

واضطلع ابن خلدون بمهمة انشاء هذه الدراسة الجـديدة للظواهر الاجتماعية بنفسه ، وقام على ضوئها بالكشف عن القوانين التى تخضـع لها هذه الظواهر ٠ وتألف عن ذلك علم جديد أسماه بـ « علم العمران » أو « علم الاجتماع الانسانى » ، وقرر بناء على ذلك أنه لم يسبقه الى هذا العلم أحد من قبل(٦) ٠

* * *

● **تعريف علم الاجتماع :**

كانت عملية تعريف علم الاجتماع ـ ولا تزال ـ تمثل واحدة من المشكلات الجوهرية التى نشأت مع بداية ظهور علم الاجتماع واستمرت مع تطوره ٠ واذا كانت هذه المشكلة لم تجد الاهتمام الكافى والعناية اللازمة من جانب علماء الاجتماع منذ اللحظة الأولى ، الا انها تحظى اليوم بعناية كبيرة فى تقدير جانب كبير من علماء الاجتماع المحدثين ٠ فهم يميلون الى دراسة « سوسيولوجيا المعرفة Sociology of knowlege » أو ينتمون الى ذلك الفرع أو الميدان الجديد من ميادين علم الاجتماع الذى

---

(٦) على عبد الواحد وافى ، **ابن خلدون** ٠ القاهرة : مكتبة نهضـة مصر ، ١٩٥٥ ، ص ١٠٦ ـ ١١٢ ٠

يتناول بالدراسة والتحليل والنقـــد الأسس المعرفية والمنطقية والواقعية للنظريات والأفكار الواردة فى علم الاجتماع ومن بينهـــا تعريف علم الاجتماع(٧) ٠

ويرجع ذلك الاهتمام بتعريف علم الاجتماع الى اعتقاد مؤداه « أن الاتفاق على تعريف محدد لهذا العلم يسهم فى توفير أسس مشتركة وفى التقريب بين مختلف وجهات النظر التى قد تتصارع على مسرح هـــذا العلم ٠ والواقع أنه قد تعددت تعريفات علم الاجتماع بتعدد المذاهب والنظريات التى اتجهت وجهات متعددة ومتباينة فى تحـديد الحقيقة الاجتماعية وتفسيرها »(٨) ٠ هذا ما قد يوضحه لنـا استعراض التراث والتحليل التاريخى ومحاولة فهم المشكلات فى ضوء الاحاطة بخلفيتها ، مع محاولة التدخل لانتقاء الحقائق التى يوفرها لنـا هذا التراث فى ضـوء تطورها التاريخى دون تعصب لرأى معين ، مع الحرص على تقـــديم أكبر قدر من الآراء على اختلافها وتباينها(٩) ٠

ونعرض فيما يلى موجزا لوجهات النظر المختلفة بالنسبة لتعريف علم الاجتماع :

١ ـ نلاحظ أن « أوجست كومت » قـد عنى بتعريف الظـاهرة الطبيعية أو الكيميائية والبيولوجية وتحديد موضوعات هذه العلوم ، ولكنه لم يقدم تعريفا للظاهرة الاجتماعية أو تحديدا لموضوع علم الاجتماع ، لأن هذا العلم فى نظره يدرس كل الظواهر التى لا تدرسها العلوم الأخرى السابقة عليه فى الظهور ٠ وكان يرى أنه من العبث تحـــديد الظاهرة

---

(٧) غريب سيد أحمد وآخرون ، **المدخل الى علم الاجتماع المعاصر** ٠ القاهرة : دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٤ ، ص ٧

(٨) محمد عاطف غيث ، **علم الاجتماع** ٠ القاهرة : دار المعـارف ، ١٩٦٣ ، ص ١٣٢

(٩) على عبد الرازق حلبى ، **قضايا علم الاجتماع المعـاصر** ٠ القاهرة : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٧٩ ، ص ١١

الاجتماعية ، لأن الظواهر الانسانية كافة ـ بما فى ذلك ظواهر علم النفس ـ هى ظواهر اجتماعية . ولذلك فالانسانية فى نظره هى موضوع العلم ، وهى الحقيقة التى يرى أنها جديرة بالدراسة والبحث(١٠) .

٢ ـ كان « هربرت سبنسر Herbert Spencer » يرى أنه يتعين على علم الاجتماع أن يصف ويفسر نشأة وتطور النظم الاجتماعية كالأسرة والضبط الاجتماعى والعلاقات بين النظم .. وأنه على علم الاجتماع أن يقارن بين المجتمعات على اختلاف أنواعها وعلى اختلاف تطورها ، وأن يتناول ظواهر البناء والوظيفة كما تبدو فى المجتمعات بصفة عامة(١١) .

٣ ـ كان « دوركايم Durkheim » يجعل من الظواهر الاجتماعية المرضوع الرئيسى لعلم الاجتماع ، ومن ثم فانه اجتهد فى تحديد الخواص التى تميز هذه الظواهر الاجتماعية عن غيرها من ظواهر الطبيعة والحياة غير الانسانية (١٢) .

٤ ـ قدم « ماكس فيبر Max Weber » تعريفا عاما لعلم الاجتماع بأنه « العلم الذى يحاول الوصول الى فهم وتفسير للفعل الاجتماعى من أجل التوصل الى تفسير علمى لمجراه ونتائجه »(١٣) .

٥ ـ يحدد « باريتو Pareto » علم الاجتماع بأنه العلم الذى يدرس الظواهر الاجتماعية فى تفاعلها بعضها مع البعض الآخر ، وفى أثر

---

(١٠) مصطفى الخشاب ، **علم الاجتماع ومدارسه** « الكتاب الأول » . القاهرة : لجنة البيان العربى ، ١٩٥٨ ، ص ١٦١

(١١) A. Keles ; **What is Sociology** . (New Delhi : Prentice - Hall, 1971) , pp. 4 - 5.

(١٢) محمد عاطف غيث ، **علم الاجتماع** ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .

(١٣) M. Weber ; **Theory of Social and Economic Organization.** (N. Y. Oxford University Press, 1947) , p. 88.

كل منها على الأخرى ، كما يدرس الوظائف التى تؤديها الظواهر والارتباط بينها (١٤) .

٦ ـ أما « تالكوت بارسونز Talcott Parsons » فقد ذهب الى أن علم الاجتماع يركز اهتمامه على الأنساق الاجتماعية من حيث دراستها وتحليلها ، باعتبارها محور علم الاجتماع(١٥) .

٧ ـ ويحدد علم الاجتماع فى رأى « جونسون Johnson » بذلك العلم الذى يتناول الجماعات الاجتماعية بالتحليل ، ويركز على اشكال تنظيمها الداخلى وأساليبه ، والعمليات التى تؤدى الى استقرار هذه الأشكال التنظيمية أو تغييرها ، وكذلك دراسة العلاقات القائمة فيما بين الجماعات(١٦) .

٨ ـ ويعرف « بارون Barron » علم الاجتماع بأنه ذلك العلم الذى يضطلع بمهمة البحث عن المعرفة المتعلقة بأنماط التفاعل الاجتماعى وأثر الأنساق الاجتماعية على الاستجابات السلوكية والفعلية والانفعالية للكائنات الانسانية(١٧) .

٩ ـ يحدد « كارل ماركس Karl Marx » علم الاجتماع بأنه محاولة للوصول الى نظرية متكاملة عن بناء المجتمع وتغيره(١٨) .

وتحدد مجموعة التعاريف السابقة علم الاجتماع أنه دراسة : الفعل الاجتماعى ، والتفاعل الاجتماعى ، والسلوك الانسانى ، والجماعات الاجتماعية ، والمجتمع ، والظواهر الاجتماعية ، والأنساق الاجتماعية ،

---

(١٤) محمد عاطف غيث ، **علم الاجتماع** (مرجع سابق) ص ١٠٨

(١٥) T. Parsons; **The Social System.** (Glencoe, Ill. : The Free Press, 1951) , p. 552.

(١٦) H. Johnson ; **Sociology** . (N. Y. : Harcourt, 1960) , p. 2 .

(١٧) M. Barron (ed.) ; **Contemporary Sociology** . (N. Y. : Dodd, 1965) , p. 10

(١٨) محمد عاطف غيث ، **مرجع سابق** ، ص ٤٠ .

والنظم الاجتماعية ، والتنظيمات الاجتماعية ، والعمليات الاجتماعية ، مع التركيز على بناء هذه الأشكال ووظيفتها ٠ ٠ وتتراوح مختلف التعاريف ما بين التحديد ـ بما يجعل علم الاجتماع متمثلا فى الفعل الاجتماعى ـ والاتساع الشديد ـ الذى يجعل هذا العلم وموضوعه متمثلا فى المجتمع ككل ٠ وهذا الأمر يعكس حقيقة هامة مؤداها أنه من الصعب التوصل الى تعريف دقيق ومتفق عليه لهذا العلم ، وهذا ما يجمع عليه معظم العلماء والباحثين فى علم الاجتماع(١٩) ٠

* * *

● **أهـــداف علم الاجتماع :**

نخلص من المناقشة السابقة بأن علم الاجتماع علم نظرى يستهدف دراسة الحقائق الاجتماعية دراسة علمية وصفية تحليلية بنفس الطريقة التى تدرس بها العلوم الطبيعية وظواهرها ٠ وهذا يعنى أن علم الاجتماع يهتم بالدراسة الموضوعية دون أن يتأثر بوجهات النظر الخاصة ، ودون أن يكون هناك مجال لتدخل الآراء والأهواء والأفكار الشخصية ، ولذلك فان الأغراض التى يرمى اليها أغراض نظرية فى معظمها ٠ ولما كان علم الاجتماع علما انسانيا ، فينبغى الانتفاع بنظرياته وبحوثه فى الارتقاء بأحوال الجنس البشرى ، ومن ثم فلا بد أن تكون له أغراض عملية تطبيقية الى جانب أغراضه العملية النظرية ٠ وفيما يلى مناقشة لهذه الأغراض(٢٠) :

أولا ـ الأغراض النظرية :

تتلخص هذه الأغراض فى النقاط الآتية :

١ ـ **دراسة طبيعة الحقائق الاجتماعية** وما يتصل بها ، للوقوف على نشأتها والمبادىء العامة للحياة الاجتماعية والدعائم التى ترتكز عليهـــا ٠

٢ ـ **دراسة تطور الظواهر الاجتماعية** على اختلافها باختلاف الأزمنة

---

(١٩) على عبد الرازق حلبى ، **مرجع سابق** ٠ ص ١٤ ـ ١٥

(٢٠) مصطفى الخشاب ، **علم الاجتماع ومدارسه** « الكتاب الثانى »، القاهرة : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ ، ف ٣ ٠

والشعوب · وتشمل هذه الدراسة كذلك دراسة الأشكال الاجتماعية وتصنيفها والكشف عن الخصائص التى تنطوى عليها طبيعة كل شكل ، ومحاولة الوقوف على الشروط الضرورية للتغير الاجتماعى والقوى المؤثرة فى تقدم المجتمع ·

٣ ـ دراسة العلاقات التى تربط بين الظواهر والنظم الاجتماعية ، والوقوف على مدى التفاعل الذى يحدث فيما بينها وما ينجم عن ذلك من اثار فى حياة الأفراد بصفة خاصة وحياة المجتمع اجمالا ·

٤ ـ الكشف عن مبلغ ارتباط التغيرات الاجتماعية بالتطـــورات الحضارية والثقافية بصفة عامة ·

٥ ـ الكشف عن الوظيفة الاجتماعية التى تؤديها الظواهر والنظـم الاجتماعية وتطور هذه الوظائف واختلافها باختلاف المجتمعات ·

٦ ـ الوصول الى القوانين الاجتماعية التى تخضع لها طوائف الظواهر الاجتماعية والتى تحكمها فى نشأتها وتطورها وعلاقاتها المتبادلة والوظائف التى تؤديها ·

ويعتبر الغرضان الأخيران هما أهم الأغراض جميعا وأجدرها بالدراسة والعناية ·· حيث ان الهدف الأســاسى الذى يقصده الباحث من دراســة نظام ما أو ظاهرة هو الوقوف على الوظيفة الاجتماعية التى يؤديها النظام او تحققها الظاهرة فى حياة الفرد والجماعة ، وذلك للبحث فيما اذا كان من الممكن الارتقاء بهذه الوظيفة لاسعاد الفرد وكذا محاولة الوصول الى القوانين العامة التى تضفى على العلم الوجود الحقيقى · ولعل هذه النقطة بالذات هى التى عوقت قيام علم الاجتماع وضيعت علية الفرصة للاستقلال منذ القدم ·· ويرجع ذلك الى أن العلماء الذين كانوا يكتبون فى الدراسات الاجتماعية لم يحاولوا الوصول الى القوانين الاجتماعية التى تحكم الظواهر المدروسة اعتقادا منهم أن الظواهر الاجتماعية لا تخضع لفكرة القانون وأنها لا تدرس الا فى ضوء النظريات الخاصة · وكان هذا الاعتقاد هو نقطـــة الضعف فى بحوثهم ·· فلما امتد المنهج الوضعى حتى شمل هذا الظواهر ،

أصبح الوصول الى الكشف عن القوانين الاجتماعية وصياغتها هو المرحلة الهامة لاستكمال علم الاجتماع بحيث أصبح له خصائص العلم المستقل ٠

ثانيا ـ الأغراض العملية :

لعلم الاجتماع ـ بجانب الناحية النظرية التى سبق ذكرها ـ ناحية عملية تطبيقية ، أى أنه يمكن الانتفاع بحقائق هذا العلم فى نواحى الحياة العملية والاهتداء فى ضوئه الى ما ينبغى عمله فى الحياة للارتقاء بأحوال المجتمعات وحل مشكلاتها وتحسين مستويات الجنس البشرى بصفة عامة ٠ وشأن علم الاجتماع فى ذلك شأن سائر الدراسات الانسانية ٠٠ فكما أن بحوث علم النفس التى تدرس قوى النفس بوصفها وتحليلها والكشف عن القوانين الخاضعة لها ، قد أقيم على أساسها الفروع التطبيقية فى مجالات تربية الطفل وتنشئته الاجتماعية ، وتصنيف الأمراض النفسية ووسائل علاجها ، واستنباط الوسائل العلمية التى أدت الى وضع الرجل المناسب فى العمل الملائم ، وما أشبه ٠٠ كذلك يمكن أن تقام على قواعد علم الاجتماع بحوث فنية ترشدنا الى ما ينبغى عمله فى محاولة اصلاح المعتل من شئون المجتمع والقضاء على علله والانحرافات التى تنشأ فى ربوعه ٠ وأهم موضوع يستحق العناية هو دراسة مشكلاتنا الاجتماعية ـ ريفية وحضرية ـ دراسة علمية دقيقة ، حيث ان مثل هذه الدراسة تعتبر مقدمة منطقية ضرورية وقاعدة قوية الدعائم لوضع سياسة الاصلاح الاجتماعى ٠ ومن شأن مثل هذه الدراسة أن تنير أمامنا الطريق وتحمينا من الزلل وتبعدنا عن سياسة الطفرة والارتجال ٠ ونجد فى مجالات رعاية الأحداث والمعوقين ورعاية الشباب الكثير من التطبيقات بالافادة من طرق خدمة الفرد وخدمة الجماعة والرعاية الاجتماعية مما هو قائم فعلا على أسس الدراسة العلمية الاجتماعية ٠٠

* * *

التغير الاجتماعى والثقافى

يقصد بـ « التغير الاجتماعى » أى تغير يطرأ على البناء الاجتماعى أو الوظائف الاجتماعية ٠ وقد يكون هذا التغير تقدميا ـ أى ارتقائيا ـ

كما قد يكون فى موقف أو ظرف آخر نكوصا كما فى حالة الأزمات السياسية والاقتصادية وما أشبه(٢١) ٠

ومن المعروف أن المجتمع يحتوى على عمليات اجتماعية تؤدى الى الحفاظ عليه وتدعيمه ، ومن هذه العمليات عملية « التنشئة الاجتماعية Socialization » و « الضبط الاجتماعى Social Control » ٠ ويحتوى البناء الاجتماعى أيضا على عمليات تسعى جاهدة لاحداث التغيير فى البناء نفسه ٠٠ فعلى سبيل المثال : يتعمد الآباء فى المجتمع الذى تسوده فكرة التغير أن ينشئوا أبناءهم على قيم السلوك وأنماطه التى تتجه بكليتها نحو البناء المستقبلى للمجتمع ، أكثر من اتجاههم نحو الوضع القائم والحفاظ عليه ٠٠ ومن ثم يمكن القول بأن الآباء لا يقومون بتعليم أبنائهم كل ما تعلموه هم من آبائهم ٠ فهم ، وان كانوا يعملون على نقل التراث والثقافة الى أبنائهم والحفاظ عليها ، الا أنهم يحاولون ـ بنفس القدر والجهد ـ أن يعيدوا تشكيل الحياة الاجتماعية والنسق الاجتماعى من جديد ٠

وعلى الرغم من أن عمليات التغير الاجتماعى تحدث تحولا وتبدلا فى النسق الاجتماعى ، الا أنها قد تعمل للحفاظ على النسق وتدعيمه ٠ قد يحتاج هذا النسق الى أن يكيف بناءه فى الظروف الجديدة ويتواءم معها لكى يحافظ على بقائه ٠

فالتغير الاجتماعى اذن هو العملية التى يحدث بمقتضاها تحول فى بنية النسق الاجتماعى ووظيفته ٠ ومن أمثلة التغير الاجتماعى : الثورات القومية ، واختراع أساليب فنية صناعية جديدة ، وانشاء مجالس تطوير القرى وتنميتها ، ومشروعات تنظيم الأسرة ٠ ويعد هذا يطرأ التحول على بنية النسق ووظائفه ، حيث ان البناء الاجتماعى للنسق يتكون من الأشخاص الكثيرين المتضمنين فيه ومراكز الجماعة التى تشكله ٠

---

(٢١) عبد الله الخريجى ، **التغير الاجتماعى والثقافى** ٠ جدة : رامتان ، ١٩٨٣ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦

ويعتبر « التغير الثقافى » ذا مدلول أوسع بكثير وأشمل من مدلول «التغير الاجتماعى» ، وان كان الاثنان يستخدمان معا للاشارة الى التغيرات الاجتماعية التى تحدث فى أحد المجتمعات . ويدل « التغير الثقافى » على كل تغير يحدث فى الجوانب المادية وغير المادية للثقافة .. كان يحدث فى اللغة ، أو الفن ، أو العلم ، أو المعتقدات ، أو العادات فى المأكل والمشرب والملبس ، أو وسائل المواصلات والنقل ، أو فى النمط الفيزيقى للمسكن ، أو فى الصناعة ، أو فى شكل من أشكال الحياة الاجتماعية(٢٢) .

فالثقافة هى مجموع السلوك المكتسب الذى يتم تناقله اجتماعيا ، وعلى ذلك فهى تضم الكثير من العناصر . ويعتبر بعض العلماء أى تغير يطرأ على عنصر من التكوينات المادية والعقلية والاجتماعية تغيرا ثقافيا . وعلى هذا فان التغير الثقافى يعنى أى تغير يمكن أن يؤثر فى مضمون ثقافة معينة أو بنائها ، ويعتمد هذا النوع من التغير على « الانتشار Diffusion » أو « الاختراع Invention » .

فالتغير الثقافى اذن ظاهرة أعم وأشمل من التغير الاجتماعى ، كما أن هذا التغير الثقافى لا تخلو منه جماعة بشرية . وتتضح هذه الحقيقة من خلال دراسة التغير اثناء حدوثه ، أو عن طريق تحليل الثقافات غير التاريخية . ونجد أن الطابع الدينامى للاختلافات الاقليمية يؤكد هذه الظاهرة .

* * *

التنمية الاجتماعية

« التنمية الاجتماعية » هى مشكلة العصر .. مشكلة المجتمعات .. هى التحدى الكبير الذى يواجهه الساسة والعلماء من أجل تحريك المجتمعات ودفعها فى طريق التقدم والازدهار ...

ولقد أصبح مصطلح « البلاد النامية » من أشهر المصطلحات اليوم

---

(٢٢) **المرجع السابق** ، ص ١٣٢

فى كتابات المشتغلين بالعلوم الاجتماعية على اختلاف تخصصاتهم . وهذا المصطلح يأخذ البعض عليه شيئا من الملاحظات .. فهو من حيث معناه اللغوى الظاهرى مصطلح غير سليم ، لأن البلاد النامية فعلا ـ أى التى قطعت شوطا بعيدا من النمو ـ هى البلاد المتقدمة اقتصاديا واجتماعيا ، فهى التى تتم بها عملية التنمية بسرعة كبيرة تفوق كثيرا سرعة التنمية الدائرة فى البلاد الّتى يطلق عليها الآن « البلاد النامية Developing) Countries ، والتى كانت تسمى قبل ذلك « **البلاد المتخلفة** Unaerdeveloped Countries » ، **أى البلاد ذات المستوى الأدنى** من النمو .

وبصرف النظر عن الجدل اللفظى ، فمصطلح « الدول النامية » يدل حاليا على تلك البلاد والمناطق والشعوب التى لم تشارك بشكل ايجابى فى عملية النمو الاقتصادى والاجتماعى الضخمة التى حققتها الشعوب المتطورة خلال الفترة من الثورة الصناعية حتى الحرب العالمية الثانية . وترتب على ذلك انخفاض مستوى انتاجيتها وتدنى قدرتها على اقامة علاقات أو تنظيم برامج على مستوى اجتماعى كبير(٢٣) .

* * *

● **اسباب التخلف :**

يمكن تحديد الأسباب **الأولية** للتخلف فى الدول النامية فيما يأتى(٢٤) :

أولا : ان انسان الدول النامية لم يكتسب بعد القدرات العلمية والتنظيمية التى كونها انسان المجتمعات الصناعية المتقدمة على أمتداد القرون الثلاثة الماضية ، وهى القدرات التى مكنته من السيطرة على البيئة الطبيعية والتحكم فيها واستغلالها وتنمية نظم اجتماعية لتحقيق الرفاهية المادية . والأخطر من هذا ان انسان البلاد النامية لم يضع

---

(٢٣) عبد الله الخريجى ومحمد الجوهرى ، **التنمية الاجتماعية** . جدة : رامتان ، ١٩٨٦ ، ص ١٣ ـ ١٤

(٢٤) **المرجع السابق** ، ف ٤

تحقيق هـذا الهدف نصب عينية ، ويرجع البعض ذلك الى أن سـلوك هـذا الانسان لم يكن على امتداد تلك الفترة متأثرا بقيم عقلانية ومادية وانما كان متأثرا بقيم تقليدية متخلفة ٠

وترتب على هـذا أن السلوك الاقتصادى فى البلاد النامية ظل جامدا فى طابعه العام ، بمعنى أن يقتصر النشاط الاقتصادى على تلبية احتياجات الشخص التى تعتبر ضرورية ومعقولة فى اطار التقاليد السـائدة ٠ ويمكن القول بأن النشـاط الاقتصادى فى المجتمعات الجامدة ـ اى قبل بداية جهود التنمية ـ يتميز بالخصائص الآتيـة :

١ ـ أنه نشاط تلقائى وليس عقلانيا واعيا ، بمعنى أنه لا يهتم بحساب العلاقة بين المنصرف والعائد من نشاط معين ٠

٢ ـ أن النشاط موجه الى العمل فى ظل التقاليد المتوارثة ، مستهدفا تأمين الوجود الفردى العائلى ٠ فهو ليس نشاطا ديناميا ولا يتميز بروح المغـامرة والاقدام التى كان يتميز بها رجال الأعمـال فى فجر العصر الرأسـمالى ٠

٣ ـ أن هـذا النشاط يسير بطريقة روتينية جامدة ، أى يتبع أساليب العمل وانماط السلوك التى كان يسير عليها الأقدمون دون تحوير أو ابتكار ٠ هـذا على خلاف النشاط الاقتصادى فى المجتمع المتقدم الذى يسـعى دائما الى افضل وسـيلة لخدمة الهدف المنشـود ، مما يدفعه الى ابتكار الحلول والبحث عن الجديد الأكثر كفاءة وأقل تكلفة ٠

ثانيا : أن تقسيم العمل لم يتطور بالقدر المطلوب فى أغلب المناطق المختلفـة ، حيث ان الانتاج فى هـذه المجتمعات يتم فى الغالب بهدف الاعاشة فى نطاق مجتمع العائلة اى للاستهلاك العائلى المباشر ، أو بهـدف البيع فى سـوق محلى محدود ٠ وقد ترتب على هـذا أن اقتصاديات معظم الدول النامية تتصف بالضعف بشكل عام ، كما تتميز بسوء التوزيع وعـدم التناسب بين المناطق المختلفـة داخل الدولة (ومن أبرز تلك الفـروق ما نلاحظها بين القرية والمدينة فى الدول النامية) ، وكذلك عدم تناسب

قوى الانتاج بين الطبقات الاجتماعية (ومن أبرز تلك الملامح الفروق الحادة فى الدخـول والثروات) ، وكذلك عـدم تناسب درجة النمو والازدهار بين القطاعات الاقتصادية المختلفة (حيث نجد بعض القطاعات الحديثة المتطورة ، وأخرى ما زالت تعيش مرحلة بدائية شديدة التخلف) . هـذا علاوة على أن سيطرة أساليب الانتاج التقليدية وضعف وسائل النقل وامكانات التوزيع يؤدى الى ضعف امكانات التسويق ، ويرتبط بذلك كله ويترتب عليه وجود تضارب فى أسواق السلع والعمالة ورأس المـال ، بالاضافة الى التباين فى مستويات الأسـعار .. وهـذا كله يعنى اختلالا فى ميكانيزم السوق بشكله الذى عرفته البلاد الصناعية المتقدمة ، حيث ان اضطراب جهاز الأسـعار ، وشـبكات التوزيع ، ومناطق الانتـاج ، كل ذلك يعوق وجود وحدة اقتصادية متجانسة داخل البلد النامى .

ثالثا : يلاحظ أن الاطار الاجتماعى القائم فى البلاد النامية يعوق عملية النمو الاقتصادى ، خاصة فى الدول المستقلة .. فهناك اختلال واضح فى توزيع الثروة والدخول وبالتالى توزيع القوة بصفة عامة داخل تلك المجتمعات . فنجد أن الطبقات التى تستأثر بأكبر نصيب من الملكيـة ذات طبيعة اقطاعية فى جوهرها ، وهى تستأثر فى نفس الوقت بالنصيب الأوفى من القوة السياسية . ولمـا كانت تلك الطبقات ذات طبيعة اقطاعية فهذا يعنى انها جامدة من الناحية الاقتصادية وذات طابع طفيلى غير منتج لا يساعد على تطوير عوامل الانتاج أو تجديدها وتوسيعها ، وتتلخص وظيفتها الأساسية فى العمل من أجل الحفاظ على بناء القوة وبناء الدخول القائم بالفعل والحيلولة دون تغييره أو تطويره ، وهى فى ذات الوقت حريصة أشد الحرص على عدم تغيير البنـاء الطبقى الاجتماعى القائم بحال من الأحوال ، كما تتميز بحساسية شديدة تجاه كل جديد ينال من ذلك البنـاء بالتعديل أو التطوير .

* * *

● **مفهـوم التنميـة :**

هناك أكثر من اتجاه وأكثر من مفهوم يرتبط بمصطلح « التنمية » ، خاصة « التنمية الاجتماعية » . ويمكن فهم التنمية بشكل عام كعملية تغير

ثقافى دينامية ـ اى متصلة وواعية ـ موجهة ، تتم فى اطار اجتماعى معين . وترتبط عملية التنمية بازدياد أعداد المشاركين من أبناء الجماعة فى دفع هـذا التغير وتوجيهه ، وكذلك فى الانتفاع بنتائجه وثمراته . وتنطوى التنمية أيضـا على التوسـع الشـامل فى كل مجالات النشـاط الانسـانى .. اى المجالات الروحيـة ، والفسكرية ، والتكنولوجيـة ، والاقتصادية ، والاجتماعية(٢٥) .

ولعل من النتائج الأوليـة للتعريف السـابق انه لا يجوز ان نقصر التنمية مطلقا على النمو الاقتصادى ، وانما يجب ان تشتمل كذلك على تغير ثقافى عام وكذلك على تغيرات محددة فى البنـاء الاجتماعى القائم . ولا شك فى ان كل عنصر من هذين العنصرين يؤثر فى البنـاء الاجتماعى القائم ، كما ان كلا من العنصرين يؤثر فى الآخر بشكل متبادل .. فالنمو الاقتصادى لا يمكن أن يسـتمر فى المدى البعيد دون تغير فى الاتجاه نحو الديموقراطية الاجتماعية ، فكلاهما يعمل على خدمة الآخر .

* * *

● **عمليـة التنميـة :**

يقصد بـ « عملية التنمية » مجموع ظواهر التغير الثقافى الدينامى الواعى والموجه ، وخاصة تعبئة وتنشيط العناصر الثقافية التى كانت ثابتة أو جامدة ـ نسبيا ـ فيما مضى ، وهى العناصر الروحية والفكرية والمـادية ، وتخفيف رطأة أساليب السلوك التقليدية واعادة صياغتها أو التخلص من بعضها نهائيا اذا ما لزم الأمر .

ويمكن أن نميز ثلاثة مستويات للتعبئة داخـل عملية التنمية ، تحددها فيما يلى :

المستوى الأول : هو المستوى التكنولوجى .. ويتمثل فى تغيير أساليب الانتاج ، والنقل والاتصال ، والتوزيع ، وذلك بهدف الوصول الى علاقة أكثر ملاءمة بين المدخلات والمخرجات ـ اى التكلفة والعائد .

---

(٢٥) المرجع السابق ، ص ١٤٠ ـ ١٤١

المستوى الثانى : هو المستوى الاقتصادى ·· ويتمثل فى التوصل الى طرق أكثر انتاجية وكفاءة فى مجالات التنظيم ، والتخطيط ، وتوزيع العـائد ·

المستوى الثالث : هو المستوى الاجتماعى ، وهو يتشعب الى النقاط الفرعية التاليـة :

١ ـ تحريك النظام الاجتماعى وتعبئته بصفة عامة ، بما فى ذلك توسيع مجالات العلاقات والوعى والمسـئولية ، والتغيرات التى تطرأ على وظائف الكيان الاجتماعى وبنائه ، وتنمية وحدات اجتماعية أكبر حجما وأكثر تعقيدا ترتكز على اساس التكامل الداخلى الفعال ـ اى التكيف فيمـا بين افراد تلك الوحـدات الاجتماعيـة ، وعلى أسـاس النمـو فى أعداد السـكان ·

٢ ـ الحراك الأفقى ـ اى الجغرافى ـ او المكانى ·· الذى يتمثل فى هجرة العناصر السكانية المختلفة وانتقالها من مكان الى آخر ·

٣ ـ الحراك الرأسى ، اى الانتقال من طبقة اجتماعية الى طبقة أخرى أعلى أو أسفل السلم الاجتماعى ، وكذلك تغير العوامل المؤثرة على البنـاء الطبقى مثل : توزيع السـلطة والقوة ، والهيبة والمكانة ، والتعليم ، والملكية ، والدخل ·

* * *

مفهـوم علم الاجتماع الاسـلامى

● **الاسـلام عقيدة وشريعة(٢٦) :**

« الاسـلام » هو دين الله الذى أوحى بتعاليمه فى أصوله وشرائعه الى النبى محمد ﷺ ، وكلفه بتبليغه للناس كافة ودعوتهم اليـه ·· وقـد تلقى فيه الرسول الكريم عن ربه القرآن الكريم ، فبلغه كما تلقاه ، وبين

---

(٢٦) محمـود شـلتوت ، **الاسـلام عقيـدة وشريعـة** (ط ٨) · **القاهرة : دار الشروق** ، ١٩٧٥ ، ص ٧ ـ ١٣

بأمر الله وارشاده مجمله ، وطبق بالعمل نصوصه ، ثم تلقاه عنه الناس جيلا بعد جيل ، كما تلقاه هو عن ربه ، حتى وصل الينا ـ كما نزل ـ متواترا لا ريب فيه .

وقد قامت الحجة القاطعة عند من نظر في القرآن ، وعرف أسلوبه ، وتدبر معناه ومحتوياته ، ثم أحاط بنشأة النبى محمد ﷺ وتقلب فيها ـ على انه لا يمكن أن يكون من صنع محمد ، ولا من صنع بشر تلقاه عنه .. وبذلك آمن من يخضع قلبه للحق بانه من الله سبحانه ، أوحاه الى محمد الذى اصطفاه رسولا ، وبلغه النبى الأمين الى الناس . وكان القرآن بذلك عند من آمنوا به مصدرا لعقائد الدين ، ولأصول أحكامه وشرائعه .

وقد سجل الله سبحانه فى القرآن ذاته عجز البشر عن أن يأتوا بمثله ، ودل عليه واقعهم الذى فشلت فيه محاولة الاتيان بمثله ، وجابه المعرضين عنه بالعجز الدائم المستمر ، فقال تعالى :

● « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ، أعدت للكافرين » .
(البقرة : ٢٣ ـ ٢٤)

● « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » . (الاسراء : ٨١)

وقد اتصلت بالقرآن الكريم ـ بعد أن التحق محمد بربه ـ أفهام العلماء والأئمة فيما لم يكن من آياته نصا فى معنى واحد ، وكان المسلمون فى عهد الرسول فى غنى عن هذا برجوعهم اليه وتعرفهم المراد منه . ومن هذا الجانب اتسع ميدان الفكر الانسانى ، وكثرت الآراء والمذاهب فى النظريات والعمليات ، لا على انها دين يلتزم ، وانما باعتبارها من الآراء والأفهام فيما هو من القرآن محتمل للآراء والأفهام ، يرد فيها كل ذى رأى منها رأيه الى الدلالة التى فهمها هو من النص القرآنى ، مستعينا بما صح عنده من أقوال الرسول أو افعاله أو من القواعد العامة التى ترمى

اليها روح الدين عامة . وهـذا الصنيع لم يكن من هؤلاء الأئمة وفى معتقدهم الا اجتهادا فرديا ، لا يوجب واحد منهم على أحد من الناس أن يتبعه ، بل تركوا لغيرهم ممن له أهلية الفهم حرية التفكير والنظر .. ومن هنا كثرت الآراء والمذاهب فيما يتصل بالفروع التابعة للعقائـــد الأصليـــة ، وفيما يتصل بالعمليات التابعة لأصول الشرائع والأحكام (مثل الفروع الاجتهادية كمسح ربع الرأس أو كله فى الوضوء) .

أما العقائد الأصلية كالايمان بالله واليوم الآخر ، وأصول الشريعة كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة النفس والعرض والمـال ، فان نصوصها جاءت فى القرآن بينة واضحة لا تحتمل اجتهادا أو افهاما .

وان دلت طبيعة الاسلام هـذه على شىء ، فانما تدل على أنه دين يتسع للحرية الفكرية العاقلة ، وأنه لا يقف ـ فيما وراء عقائده الأصلية وأصول تشريعه ـ على لون واحد من التفكير أو منهج واحد من التشريع . وقد كان ـ بتلك الحرية ـ دينا يساير جميع أنواع الثقافات الصحيحة ، والحضارات النافعة التى يتفق عنها العقل البشرى فى صـلاح البشريـــة وتقدمها مهما ارتقى العقل وتطورت الحياة .

ولقد تلقى النبى الكريم عن ربه الأصل الجامع للاسلام فى عقائده وتشريعه، وهو القرآن الكريم.وكان القرآن هو المصدر الأول فى تعرف التعاليم الأساسية للاسلام . ومن القرآن عرف ان الاسلام له شعبتان اساسيتان ، فلا توجد حقيقته ولا يتحقق معناه الا اذا أخذت الشعبتان حظهما من التحقق والوجود فى عقل الانسان وقلبه وحياته ، وهاتان الشعبتان هما : « العقيدة » و « الشريعة » .

١ ـ العقيـدة :

العقيدة هى الجانب النظرى الذى يطلب الايمان به وقبل كل شىء ايمانا لا يرقى اليـه شك ، ولا تؤثر فيه شـبهة . ومن طبيعتها تضافر النصوص الواضـحة على تقريرها ، واجماع المسلمين عليهـا من يوم أن ابتدأت الدعوة ، مع ما حدث بينهم من اختلاف بعد ذلك فيما وراءها .

وهى أول ما دعا اليه الرسول الكريم ﷺ ، وطلب من الناس الايمان به فى المرحلة الأولى من مراحل الدعوة ، وهى دعوة كل رسول جاء من قبل الله ، كما دل على ذلك القرآن الكريم فى حديثه عن الأنبياء والمرسلين .

٢ ـ الشريعـة :

الشريعة هى النظم التى شرعها الله أو شرع أصولها ليأخذ الانسان بها نفسه فى علاقته بربه (وسبيلها أداء الواجبات الدينية كالصلاة والصوم والزكاة) ، وعلاقته بأخيه المسلم (وسبيلها تبادل المحبة والأحكام الخاصة بتكوين الأسرة والميراث) ، وعلاقته بأخيه الانسان (وسبيلها التعاون فى تقدم الحياة العامة والسلم العام) ، وعلاقته بالكون (وسبيلها حرية البحث والنظر فى الكائنات واستخدام آثارها فى رقى الانسان) ، وعلاقته بالحياة (وسبيلها التمتع بلذائذ الحياة الحلال دون اسراف أو تقشف) .

ولقد عبر القرآن الكريم عن العقيدة بـ « الايمان » ، وعن الشريعة بـ « العمل الصالح » ، وجاء ذلك فى كثير من آياته الصريحة . قال تعالى :

● **« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا . خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » .** (الكهف : ١٠٧ ـ ١٠٨)

● **« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .** (النحل : ٩٧)

● **« والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .** (سورة العصر)

● **« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .** (الأحقاف : ١٣)

* * *

● **مصادر التفكير الاجتماعى الاسلامى :**

لا شك أن موضوع مصادر الفكر الاجتماعى الاسلامى من الموضوعات

الصعبة والمعقدة ، ولا تعود تلك الصعوبة أو التعقيد هنا الى عدم كفاية المصادر ، وانما تعود الصعوبة والتعقيد الى ارتباط تلك المصادر بنص الدين الاسلامى وروحه من جهة ، وبتلك الاجتهادات الشرعية التى تعرضت بالشرح والتفسير لنصوص القرآن الكريم أو للأحاديث النبوية الشريفة من جهة أخرى .. اننا سنتعرض فيما يلى لمصادر الفكر الاسلامى بصفة عامة ولمصادر الفكر الاجتماعى الاسلامى بصفة خاصة ،باعتبار أن هناك وحدة فى الأصل أو المنشأ . واننا فى تناولنا لتلك المصادر لن نتناولها باعتبارها أدلة شرعية ، ولكن نتناولها من منطلق اسهامات تلك المصادر فى تسيير مختلف أمور الحياة المجتمعية للأمة الاسلامية .

ومن هذا المنطلق فلن يكون غريبا اذا ما اعتبرنا أن مصادر الفكر السوسيولوجى الاسلامى هى نفسها تلك الأدلة الشرعية التى يرجع اليها فى استنباط أحكام الفقه الاسلامى ، وهى باتفاق علماء الأصول عشرة مصادر رتبت حسب أهميتها على الوجه الآتى : الكتاب ، السنة ، الاجماع ، قول الصحابى ، القياس ، الاستحسان ، المصلحة المرسلة ، العرف ، الشرائع السابقة ، وأخيرا : الاستصحاب(٢٧) .

وكما سبق القول فان الأدلة العشرة السابقة تعتبر كلها أدلة شرعية يعتد بها فى استنباط أحكام الفقه الاسلامى ، بصرف النظر عن أن تلك الأدلة ليست كلها محل اتفاق علماء المسلمين خصوصا ما يتعلق منها بالأدلة العقلية(٢٨) . وسوف نضيف الى تلك المصادر « التفلسف والتشيع » باعتبارها لعبت دورا أساسيا فى تأصيل الفكر الاجتماعى الاسلامى ، وليس باعتبارها من الأدلة الشرعية .

١ ـ الكتاب :

ويقصد به القرآن الكريم ، وهو المنزل بطريق الوحى بألفاظه

---

(٢٧) صلاح مصطفى الفوال ، **المقدمة لعلم الاجتماع العربى الاسلامى** . القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٨٢ ، ص ٧٥ ـ ٧٦

(٢٨) زكريا البرى ، **أصول الفقه الاسلامى : الأدلة الشرعية** (ط ٤) . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧١ ، ص ١٣ ـ ١٥

العربية ومعانيه على رسول الله ﷺ . ولقد نقل القرآن الكريم عن طريق التواتر ، ويعتبر أساس الشريعة وأول أصولها ، علاوة على أنه يتعبد به ويتقرب الى الله تعالى بتلاوته فى تمعن وروية .

وللقرآن الكريم العديد من الخصائص والمميزات التى تدخل كلها فى نطاق دراسة « علم الأصول »(٢٩) ، الا أننا سنلقى الضوء على بعض تلك الخصائص التى أثرت فى الفكر السوسيولوجى الاسلامى وذلك على النحو التالى :

(أ) تنظيم الكتاب للحياة المجتمعية للأمة الاسلامية :

تضمنت نصوص القرآن الكريم التشريعات التى تنظم أحكامها مختلف العلاقات الانسانية بشكل محكم الدقة ، بما يكفل خير الأمة الاسلامية وصلاحها . ولم تكن تلك التشريعات التى حوتها نصوص القرآن الكريم من ذلك النوع الشامل والمفصل ، بل كانت أشبه ما تكون بقواعد ومبادىء عامة تمت صياغتها بطريقة كلية ، اللهم الا فيما يتعلق بآيات المواريث والحدود التى كانت ذات دلالة قطعية ولم تترك مجالا لأى اجتهادات أو تفسير .

ولقد نزل الوحى بآيات القرآن الكريم على مدى أكثر من عشرين عاما ، وعلى قدر حاجة المسلمين وطاقتهم على الاستيعاب وطبقا لبعض المواقف التى كانوا يواجهونها .

ان القرآن الكريم قد اشتمل على أحكام كل من « العبادات » ـ كالصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ـ وكذلك « المعاملات » ـ فى مجالات الأسرة ، والعلاقات بين الأفراد ، وفى الأخلاقيات ، وفى الوقاية من الأمراض الاجتماعية (مثل القتل والسرقة والزنا والنفاق) ، وفى تشريع الأموال ، وفى موقف القتال دفاعا عن المجتمع .

---

(٢٩) زكريا البرى ، مرجع سابق ، ص ١٦ ـ ٣٥

(ب) اشتمال القرآن على بعض السير والأحداث الاجتماعية :

تضمنت النصوص القرآنية العديد من أخبار الأحداث التى وقعت فى العصور الغابرة ، وكذلك بعض الأحوال الاجتماعية للعديد من الأمم السالفة ـ كأخبار عاد وثمود وقوم لوط ـ كما تضمنت الكثير من أخبار الرسل السابقين على سيدنا رسول الله ـ كأخبار نوح ، وابراهيم أبو الأنبياء ، وموسى وهارون ، وعيسى ابن مريم ، وسليمان ، وغيرهم من الأنبياء عليهم جميعا أزكى السلام . ولا شك أن ذلك الاخبار تناول العديد من الجوانب الاجتماعية لمجتمعات أولئك الرسل .

(جـ) تنبؤ القرآن ببعض الأمور المستقبلية :

بمثل ما تحدثت النصوص القرآنية عن الماضى السحيق ، فقد تنبأت أيضا ببعض الحوادث التى ستحدث مستقبلا . والثابت أن تلك الحوادث قد وقعت بنفس الكيفية التى أخبر عنها القرآن الكريم .. فقد حدث ما تنبأ به القرآن الكريم فى الكثير من المواقف نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : نصر المسلمين يوم غزوة بدر الكبرى ، فتح مكة ، انتصار الروم على الفرس ، ضرب الذلة على أشرار اليهود فى جميع الأزمان ... الخ .

(د) علمية القرآن :

تضمن القرآن العديد من الحقائق العلمية والأسرار الكونية التى لم يكشف عنها العلم الا مؤخرا . وهذه الحقائق التى اخبر عنها القرآن ـ وكانت من قبل أسرارا ـ كثيرة جدا ولا يتسع المجال هنا لذكرها . ان ما يهمنا هو الأسلوب العلمى الذى انتهجه القرآن للاقناع ، باعتبار أن القرآن هو شريعة كل زمان ومكان .. مع الأخذ فى الاعتبار أن القرآن لم يكن يستهدف سرد الحقائق العلمية الكونية كحقائق مجردة بقدر ما كان يرمى الى هداية الناس وتزيين الايمان الى نفوسهم ، بما يمكنهم من اقامة مجتمع صالح ، فضلا عن عبادة الله على أسس وطيدة صحيحة .

واذا نظرنا الى ما جاء فى آيات القرآن الكريم نجد أنها توضح فروع العلم والمعرفة على النحو الذى انقسمت اليه فى هذا العصر من طبيعة جوية وطبيعة أرضية وكيمياء وحيوان ونبات مما يدرس فى أرقى جامعات الأرض(٣٠) . يقول الله تعالى : « **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور** » .

(فاطر : ٢٧ ـ ٢٨)

ان القرآن عندما يذكر تفصيلات العلم على هذا النحو يعقب بقوله: « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » .. فأى دليل أوضح ، وأى بيان أفصح من هذا للتدليل على أن سلم الرقى الى الله تعالى هو نفسه سلم المعرفة الصحيحة والعلم القويم ممثلا فى دراسات الجو والنبات والصخور والمعادن والحيوان والانسان .. ثم أى تكريم للعلم والعلماء أسمى من هذا ، أو فى قوله تعالى : « **بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم** .. » . (العنكبوت : ٤٩)

ولا يفوتنا فى هذا المقام ذكر ان أول ما نزل من القرآن الكريم على الاطلاق كان ايذانا ببزوغ فجر العلم وحثا على طلبه ، قال تعالى : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم** » .

(**العلق : ١ ـ ٥**)

ولقد خاطب القرآن العقول ، ووجه الحديث الى أهل العلم والمعرفة فى مواضع عديدة ، منها قوله تعالى :

---

(٣٠) جون مونسما (ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان) ، **الله يتجلى فى عصر العلم** . القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦١ ، ص ١٦٥ ـ ١٦٨

● « .. قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا .. » .
(الأنعام : ١٤٨)

● « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم ، ان فى ذلك لآيات للعالمين » . (الروم : ٢٢)

● « ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .
(الروم : ٢٤)

(هـ) القرآن كمنهج للهداية والاصلاح :

لقد حث الله تعالى الانسان على التفكير فى الكون ، والنظر فى الظواهر الكونية المختلفة ، وتأمل بديع صنعه ومحكم نظامه . كما حثه على تحصيل العلم ومعرفة سنن الله وقوانينه فى جميع ميادين العلوم المختلفة . ونحن نجد هذه الدعوة الى الملاحظة والتفكير والبحث والتحصيل العلمى فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم(٣١) :

● « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .
(الحج : ٤٦)

● « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت . فذكر انما أنت مذكر » . (الغاشية : ١٧ ـ ٢١)

● « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء .. » . (الأعراف : ١٨٥)

● « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء

---

(٣١) محمد عثمان نجاتى ، القرآن وعلم النفس . القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٢ ، ص ١٢٤ ـ ١٢٧

فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . (البقرة : ١٦٤)

● « فلينظر الانسان الى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم » .
(عبس : ٢٤ ـ ٣٢)

ويتضح حرص القرآن الكريم على دعوة الناس الى التفكير من ورود كثير من الآيات التى تتضمن مثل هذه العبارات : « أفلا يعقلون » ، « أفلا يتفكرون » ، « لعلكم تعقلون » ، « لعلكم تتفكرون » ، « أفلا يتدبرون » ، « لقوم يتفكرون » ، « لقوم يعقلون » . ولقد أوضح القرآن أهمية التفكير فى حياة الانسان ، ورفع من قيمة الانسان الذى يستخدم عقله وتفكيره ، وحط من شان الذى لا يستخدم عقله وتفكيره بأن جعله أدنى درجة من الحيوان . قال تعالى :

● « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » .
(الأنفال : ٢٢)

● أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، ان هم الا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا » . (الفرقان : ٤٤)

أما عن منهج القرآن من حيث الهداية والاصلاح ، فاننا نجد أن أفضل طريقة للتخلص من انفعال ما ـ كانفعال الخوف مثلا ـ هى أن نقوم تدريجيا باحلال انفعال معارض لانفعال الخوف ، كانفعال السرور أو الحب مثلا ، محل انفعال الخوف حتى نصل فى النهاية الى التخلص من الخوف . وبهذه الطريقة يمكن أن نتخلص من عاداتنا السيئة ، بأن نحل محلها عادات معارضة ، وهو أسلوب يتبعه بعض علماء النفس المحدثين فى العلاج النفسى(٣٢) .

(٣٢) محمد عثمان نجاتى ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ ـ ١٧٥

ولقد كان للعرب قبل الاسلام بعض العادات السيئة المستقرة فى سلوكهم ، ولم يكن من السهل فى المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية أن يطلب من المسلمين التخلى عن بعض عاداتهم السيئة القوية التى ألفوها مدة طويلة من الزمن ، ولذلك فقد اتبع الاسلام فى علاج هذه العادات السيئة أسلوبين :

الأسلوب الأول : هو « تأجيل » علاج هذه العادات حتى يستقر الايمان فى قلوب المسلمين ، بحيث يمكن الاستعانة بقوة الايمان كدافع قوى يسهل عملية التخلص من العادات السيئة المستحكمة ، وتعلم عادات جديدة بدلا منها . ولهذا السبب كانت معظم آيات القرآن التى نزلت بمكة فى المرحلة الأولى من الدعوة الاسلامية تتعلق أساسا بالدعوة الى عقيدة التوحيد . وكان الرسول ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ يتعهد من يؤمنون بدعوته بالتربيه الروحية لترسيخ الايمان والتقوى فى نفوسهم . ولا شك أن ذلك كان مرحلة هامة وضرورية فى الاعداد النفسى للمسلمين ، بحيث أصبحوا فى حالة تهيؤ تام لتغيير سلوكهم وعاداتهم وأفكارهم ونظام حياتهم تغييرا جذريا شاملا . كما جعلهم أيضا فى حالة استعداد لقبول الآيات التى نزلت فيما بعد للنهى عن عادات كانت شائعة فيما بينهم ، ما كانوا فى أول عهدهم بالاسلام مستعدين لتقبلها كالنهى عن شرب الخمر والربا . ولكن بعد أن رسخ الايمان فى قلوب المسلمين ، كان ذلك الايمان دافعا قويا الى الطاعة التامة لله وللرسول ، والى تقبلهم عن رضا كل ما يؤمرون به حتى ولو كان ذلك يتطلب منهم الامتناع عن عادات قديمة كانت قد استقرت فى سلوكهم من قبل لسنوات طويلة . وعلى ذلك فحينما نزلت آيات تحريم الخمر امتنع المسلمون جميعا عن شربه ، وقاموا بسكب كل ما لديهم منه فى شوارع المدينة .

والأسلوب الثانى الذى استخدمه القرآن فى علاج المسلمين من عاداتهم السيئة المستقرة القوية كان عبارة عن « التهيئة المتدرجة » لنفوس المسلمين للتخلص من هذه العادات ، وذلك عن طريق التكوين التدريجى لاستجابة معارضة لتلك الاستجابة المطلوب التخلص منها . وقد اتبع القرآن هذه

الطريقة فى علاج مشكلة شرب الخمر .. فقد عمد القرآن الكريم فى أول الأمر الى تنفير المسلمين من شرب الخمر ، دون أن يقوم بتحريمها تحريما تاما ، وبعدئذ تدرج بهم الى التحريم التام . فكانت أول أية نزلت فى الخمر تشير الى أن مضارها أكثر من منافعها ، وفى هذا تنفير للمسلمين منها ، وحث على الامتناع عن شربها . قال تعالى : « **يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيها اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما** » .
(البقرة : ٢١٩)

وقد قام بعض الصحابة فعلا بترك شرب الخمر بعد نزول هذه الآية .

ثم تدرج القرآن بعد ذلك الى درجة أشد حزما فى تنفير المسلمين من شرب الخمر ، وفى حثهم على الامتناع عن تناولها ، حينما كان بعض الصحابة يذهبون الى الصلاة وهم سكارى فيخطئون فى قراءة القرآن . فحرم عليهم كتاب الله أن يقربوا الصلاة وهم سكارى . وهذا فى الواقع تحريم لشرب الخمر فى معظم أوقات اليوم . قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ..** » .
(النساء : ٤٣)

لقد كان هذا الامتناع عن شرب الخمر خمس أوقات فى اليوم ، وهى تشمل معظم ساعات اليوم تقريبا ، انما كان بمثابة تدريب للمسلمين على الاقلاع عن شرب الخمر . وقد جعلهم هذا متهيئين نفسيا للانتقال الى المرحلة التالية وهى الامتناع نهائيا عن تعاطى الخمر ، وذلك عندما نزلت الآية التالية التى حرمت الخمر تحريما تاما ، قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتهم منتهون** » .
(المائدة ٩٠ ـ ٩١)

* * *

٢ ـ السـنة النبوية :

« السـنة » فى اللغة هى « الطريقة » ، محمودة كانت أو مذمومة ، جاء فى الحديث النبوى الكريم : « من سن سنة حسنة فله أجرهاواجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » . (رواه مسلم)

وهى فى اصطلاح المحدثين : ما اثر عن النبى ﷺ من « قول » أو « فعل » أو « تقرير » أو « صفة خلقية » أو « سيرة » .

وفى اصطلاح الأصوليين : ما نقل عن النبى ﷺ من « قول » أو « فعل » أو « تقرير » .

فمثال القول : ما تحدث به النبى ﷺ فى مختلف المناسـبات مما يتعلق بتشريع الأحكام ، كقوله عليه الصلاة والسلام : « انما الأعمال بالنيات » . (رواه البخارى ومسلم)

ومثال الفعل : ما نقله الصحابة من أفعال النبى ﷺ فى شـئون العبادة وغيرها .. كأداء الصلوات ، ومناسك الحج ، وآداب الصيام .

ومثال التقرير : ما أقره الرسول ﷺ من أفعال صدرت عن بعض أصحابه بسكوت منه مع دلالة الرضا ، أو باظهار استحسان وتأييد(٣٣) .

فالسنة بألفاظها من عند الرسول ، ولكن معانيها ملهمة من عند الله .. لذلك فالسنة ـ باجماع كل الفقهاء ـ تعتبر المصدر الثانى للتشريع الاسلامى. واجماع الفقهاء بحجية السنة ليس اجتهادا منهم ، ولكنه أمر نزل به الوحى متمثلا فى الآيات الكريمة الآتية :

- « ومـا آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنـه فانتهوا .. » .
(الحشر : ٧)

---

(٣٣) عز الدين بليق ، **منهاج الصالحين من أحاديث وسـنة خاتم الأنبياء والمرسلين** . بيروت : دار الفتح للطباعـة والنشر ، ١٩٧٨ ، ص ١٣ ـ ١٤

● « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ٠ (الأحزاب : ٣١)

● « من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ٠٠٠ » (النساء : ٨٠)

● « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » ٠ (النساء : ٥٩)

● « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون » ٠

(النور : ٥١)

وهناك خلافات جوهرية فيما بين القرآن والسنة ، لعل من أهمها أن السنة كانت اجتهاداً من الرسول ﷺ فى أمر من الأمور لم يرد فيه نص قرآنى ، أو تفسير لمجمل النص القرآنى ، أو توضيح لكيفية أداء فريضة ٠٠ فان كان اجتهاد الرسول الكريم فى محله ـ وغالبا ما كان فى محله ـ سكت القرآن عنه ، والا فالوحى يهبط بالرأى الربانى فيما اجتهد فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه(٣٤) ٠

٣ ـ الاجتهاد :

المقصود بـ « الاجتهاد » هنا هو اجتهاد فى الرأى ، سواء فيما يتصل بتفسير القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة ، أو فيما يتصل بابداء الرأى حول أمر لم يرد فيه نص قرآنى أو لم تتناوله السنة النبوية ٠٠ ونظرا لقلة أو لندرة ما تركته النصوص القرآنية أو السنة النبوية بغير رأى ، فقد حاول الاجتهاد أن يتعمق فى مختلف الظروف المحيطة بالواقعة أو الأحداث محل الاجتهاد محللا ومفسرا حتى يصل الى الرأى الصواب ٠

---

(٣٤) صلاح مصطفى الفوال ، مرجع سابق ٠ ص ٧٨

ومن الطبيعى ان تتضمن تلك الظروف موضع التحليل او التفسير نظما واوضاعا مجتمعية عديدة قائمة بالفعل او مستهدفة فى المستقبل ٠

وفى عهد سيدنا رسول الله كان هو المجتهد الأول ، ولكن بعد ان أدى رسالته وانتقل الى الرفيق الأعلى ٠٠ وامتداد الفتح الاسلامى فى عهد الصحابة ليضم شعوبا عديدة كفارس والشام ومصر ـ وهى شعوب وبلدان ذات حضارة تمتد الى أقدم العصور ـ فان الأمر استلزم الاجتهاد حتى يمكن مواجهة تلك الظروف الجديدة والمتغيرة لأحوال المسلمين ٠ وتصدى للاجتهاد فى ذلك الوقت كبار الصحابة ، وهم الذين اختصوا بدراسة علم الرسول والتلقى عنه فضلا عن ملازمتهم له ٠ وكان من الطبيعى أن تكون فتاوى الصحابة مرتكزة على ما أخذوه عن الرسول الكريم ، سواء أكان وحيا يوحى به صراحة كالقرآن الكريم أو ضمنا كالسنة النبوية ٠

ولم يكن الاجتهاد قاصرا على الصحابة وحدهم ، وانما كان حقا لكل علماء المسلمين ، وارتكز على عدة عوامل أهمها(٣٥) :

(أ) مدى تمكن المجتهد من مختلف مصادر الشريعة الاسلامية واحكامها وقدرته على الالمام بكل أسرارها ، حتى لا يجتهد فيما لا يصح فيه اجتهاد ٠

(ب) الظروف المجتمعية المتغيرة التى استوجبت الاجتهاد ، بما لها من جوانب سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ٠

(جـ) سمعة المجتهد وانتماءاته المجتمعية ، لأن سمعته كثقة هى التى تجعل لاجتهاده قيمة ، وانتماءاته هى التى تحدد لنا اتجاهات ذلك الاجتهاد ومراميه ٠

وبالاضافة الى اجتهاد الصحابة فهناك « الاجماع » و « القياس » ٠٠ ويقصد بـ « الاجماع » اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين فى عصر من العصور ، بعد عهد الرسول ﷺ ، على حكم من الأحكام الشرعية

---

(٣٥) صلاح مصطفى الفوال ، مرجع سابق ، ص ٨٣

العملية(٣٦) . ويشترط لصحة الاجماع أن يكون مستندا الى دليل شرعى من الكتاب او السنة او القياس ، وأن يكون باتفاق جميع المجتهدين فى امور الدين وقت حدوث المسألة المطروحة وبحثها . وعلى ذلك فان الاجماع أصبح من حيث التطبيق شبه مستحيل الآن الا فيما قد سلف .

ويعنى « القياس » الحاق فرع بأصل لمساواته له فى علة هذا الحكم . وللقياس أركان أربعة هى : « أصل » يقاس عليه وورد فيه نص من الكتاب او السنة او اجمع عليه ، و « فرع » يقاس او يطلب فيه الحكم بطريق القياس ، و « الحكم » الذى صدر على الأصل والذى يراد مساواة الفرع فيه ، واخيرا « علة الحكم » ويشترط ان تكون واحدة فى الأصل والفرع .

٤ ـ المصادر الفرعية أو التبعية :

وتضم الاستحسان ، والمصالح المرسلة ، والعرف ، والاستصحاب . وسميت هذه المصادر بالفرعية أو التابعة او التبعية لأنها تابعة عن المصادر الأربعة الرئيسية وهى : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس ، وتعتبر متممة لها . وهذه المصادر الفرعية أو التابعة غير معترف بها من كل الطوائف والمذاهب الاسلامية ،ولكل منها حجته فى الرفض أو القبول(٣٧) .

٥ ـ الشرائع السابقة :

جاءت الشريعة الاسلامية متممة للشرائع السماوية التى سبقتها ، ولم تنسخ من تلك الشرائع الا ما نزل منها لأسباب خاصة او لزمان معين . وكثيرا ما يذكر القرآن الكريم او تروى السنة النبوية بعضا من الأحكام التى أوردتها الديانات السابقة على الاسلام كاليهودية أو المسيحية . ومع ذكر تلك الأحكام قد يصاحبها ما يؤيدها او ما يدل على نسخها ، وقد لا يصاحبها شىء من ذلك . والذى أكد او نسخ من تلك الأحكام متفق

---

(٣٦) زكريا البرى ، **مرجع سابق** ، ص ٥٦

(٣٧) صوفى أبو طالب ، **تطبيق الشريعة الاسلامية فى البلاد العربية**، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ ، ص ٢٩ ـ ٥٢

عليه ، اما الذى لم يرد فيه نص يؤكده او ينسخه فقد اختلف بشانه الفقهاء بين مطالب للأخذ به وبين رافض لذلك ، ولكل حجته(٣٨) ٠

٦ ـ التفلسف والتشيع :

نتيجة لاختلاف المسلمين بعد استشهاد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وتولى على بن ابى طالب كرم الله وجهه امور خلافة المسلمين ، ومنازعة معاوية بن ابى سفيان له ، وما صاحب ذلك كله من صراعات فكرية ما لبثت ان تحولت الى صراعات دامية ٠٠ نتيجة لذلك كله ظهرت العديد من الفرق والأحزاب التى تشايع فريقا دون فريق ٠

وليس المهم هنا هو مدى صحة ادعاء كل فريق ، ولكن الذى يعنينا فى هذا المجال هو ان كل فريق انما كان يعبر عن واقع اجتماعى يحياه ، هذا الى جانب ان كل فريق استخلص لنفسه من الكتاب والسنة ما يؤيد وجهة نظره ٠ وكان كل فريق حتى يثبت دعاواه لا بد وان ينطلق من رؤية خاصة فيما يقوله او يدعو اليه ، ونشأت كرد فعل لذلك العديد من الفرق كالشيعة والخوارج والمعتزلة وغيرها ٠

* * *

● النظام الاجتماعى الاســـلامى :

ان النظام الاجتماعى الاسلامى الذى نشأ وازدهر حتى عم ثلاثة ارباع الكرة الأرضية ، كان يستند الى نظرية اجتماعية اسلامية تنطوى على العناصر الآتية(٣٩) :

١ ـ امتياز الاسلام بالصفة الانسانية ٠
٢ ـ امتياز الاسلام بالعمومية الاجتماعية ٠
٣ ـ امتياز الاسلام بالجاذبية الاجتماعية ٠
٤ ـ امتياز الاســلام بالموضوعية ٠

---

(٣٨) زكريا البرى ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٤ ـ ١٨٠
(٣٩) سيد عبد الحميد مرسى ، **الدين للحيــاة** « سلسلة دراسات نفسية اسلامية (٥) » ٠ القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٦ ، ص ٩٠ ـ ٩٨

٥ ـ امتياز الاسلام بالالزام الاجتماعى ٠

٦ ـ امتياز الاسلام بالترابط الاجتماعى ٠

* * *

● أهداف علم الاجتماع الاســـلامى :

« علم الاجتماع الاسلامى » علم قائم بذاته ، ينطلق من منطلقات اسلامية فى مجتمعات اسلامية ، يدرس ما يتردد فيها من ظواهر وعلاقات اجتماعية تسود فيها وتنتشر بين أفراد مجتمعاتها ، بحيث يكون لها صفة التكرار ٠٠ وانطلاقا من هذا المفهوم كان لعلم الاجتماع الاسلامى أهدافه التى يرمى اليها من خلال دراسته ، وأهم هذه الأهداف هى(٤٠) :

١ ـ اظهار ما فى الدين الاسلامى بعامة ، والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بخاصة ، من سنن الاجتماع ، وقواعد العمران ، ومبـادىء الظواهر والنظم الاجتماعية التى تحكم أحوال البشر وتدفعهم لترسيخ هذه العلاقات وتوطيدها ٠

٢ ـ احياء تراث المفكرين الاجتماعيين من المسلمين ، وتجلية دورهم الطليعى فى انشاء العديد من العلوم الحديثة ٠٠ أمثال : الفـارابى ، والغزالى ، وابن مسكويه ، والبيرونى ، وابن خلدون ، وغيرهم من الرواد الأوائل فى المجالات الانثروبولوجية والسوسيولوجية ، مما يجعلنا نقف على أصالة تفكير هؤلاء الرواد فى الفكر الاجتماعى والذى أقاموه على أسس من الدراسات والرحلات الميدانية التى طوفوا بها الآفاق ٠

٣ ـ اظهار الأسلوب العلمى فى الدين الاسلامى ، من خلال وضـع شريعته لقواعد الاجتماع الانسانى ونظمه ، ومدى التكامل العضوى فى هذه النظم والعلاقات الاجتماعية الاسلامية ٠

٤ ـ توضيح دور الدين الاسلامى كأداة بناءة للضبط الاجتماعى ،

---

(٤٠) زكى محمد اسماعيل ، **نحو علم الاجتماع الاسلامى** ٠ القاهرة : دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٨١ ، ص ٥٣ ـ ٦٧

وذلك من خلال تشريعاته ومعاملاته من ناحية ، وباعتباره اداة للتطوير والتغيير الاجتماعى من ناحية أخرى .

٥ ـ جعل الدراسة المقارنة أساسا فى دراسة علم الاجتماع الاسلامى ، وذلك انطلاقا من القاعدة المنطقية التى تقول : « وبضدها تتمايز الأشياء » لا سيما وان المقارنة هى العنصر الأساسى فى كل دراسة علمية منهجية .

٦ ـ البحث فى نشوء وتطور الظواهر والنظم والعلاقات الاجتماعية الاسلامية ، وأسباب استمرارها وانتشارها والقوانين التى تحكمها ، وذلك من خلال نظرة اسلامية عميقة .

٧ ـ الوصول بالمنهج العلمى المستخدم كأداة للبحث فى علم الاجتماع الاسلامى الى أهم قوانين الاجتماع البشرى .. وذلك من خلال السنن الاسلامية التى تحكم العلاقات الاجتماعية فى المجتمعات الاسلامية .

٨ ـ الافادة من الاطار النظرى لعلم الاجتماع الاسلامى فى مجال التطبيق ، خاصة فى معالجة الظواهر غير السوية فى الاسلام كشرب الخمر أو الاتجار بها أو التعامل بالربا ، وذلك عن طريق التوجيه والارشـــاد الاعلامى التدريجى ، لتغيير مثل تلك الظواهر ، اقتداء بأسلوب القرآن الكريم فى أوامره بتغيير عادات العرب التى ورثوها من عهد الجاهلية .

٩ ـ التصدى للقضايا العديدة التى تثار فى مجـال علم الاجتماع المعاصر من منطلقات مادية الحادية .. كالقضية القائلة بأن الدين من صنع المجتمع ، أو انه ظاهرة نشأت بنشأة المجتمعات دون أى تحديد لمفهـوم الدين وطبيعته .. الأمر الذى يوحى بانكار الرسالات السماوية برمتها ، وللأنبياء والرسل الذين حملوا تلك الرسالات الهادية للبشر .

١٠ ـ اثراء البحوث الميدانية فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة .. وذلك من حيث عوامل التغير الاجتماعى بها فى حركتها أو ركودها ، وتقدمها أو تخلفها ، ومدى استجابتها لتعاليم الاسلام ، ودراسة التيارات الفكرية الدخيلة عليها ومدى انتشـــارها وخطورة آثارها على المجتمع الاسلامى بعامة والشباب المسلم بخاصة وكيفية التصدى لهـا ومواجهتها .

وكذا دراسة موضوعات الأسرة والملكية والانتاج فى ضوء الاتجاه الاسلامى دراسة منهجية ميدانية ، بالاضافة الى دراسة رواسب العصور السابقة والاستعمار الدخيل بالدول الاسلامية ، والعادات والتقاليد غير الاسلامية كالشعوذة والسحر والاعتقاد فى الخرافات وانتشار البدع ومدى محاربة الاسلام لهـا ٠٠ حتى تكون هذه الدراسات المنهجية وسيلة للوصول الى نتائج عامة ، تمهيدا لعملية التغيير نحو الأفضل ، وذلك باتباع تعاليم الاسلام السمحة التى تصلح فى تطبيقها على الوجه الأكمل لكل زمان ومكان ٠

* * *

● **موضوع علم الاجتماع الاسلامى ومجالاته :**

ان علم الاجتماع الاسلامى ـ انطلاقا من أهدافه التى ذكرناها فى الفقرة السابقة ـ يتناول بالدراسة والعرض والتحليل والتفسير عددا من الموضوعات التى تدخل دائرة اختصاصه وأهمها(٤١) :

١ ـ تناول المعطيات والقضايا الأساسية التى تعتبر مدخلا للنظرية الاجتماعية الاسلامية ، على أن يكون هذا من خلال العرض والتحليل والتفسير السوسيولوجى ، حيث توضح الدراسة دور الدين الاسلامى باعتباره ظاهرة دينية فريدة امتازت بالحراك الدينامى ولهـا دورها القيادى فى المجتمع ٠٠ على أن يحاول علم الاجتماع الاسلامى تطويع المدخل السوسيولوجى لكشف المقومات الأساسية التى أرست بها الدعوة الاسلامية بنـاء المجتمع ، والأسلوب الذى جاء بـه الاسلام لترشيد حياة الأفراد ووضع منهج سعادتهم ، وما قرره من مفاهيم العدالة الاجتماعية والاخاء والمساواة والقضـاء على الظلم الاجتماعى ٠ قال تعالى : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ٠٠ » (الاسراء : ٩)

٢ ـ يركز علم الاجتماع الاسلامى على دراسة البنـاء الاجتماعى الاسلامى من حيث ارتباط نظمه ووظائفه البنائية الثقافية ببعضها البعض فى

---

(٤١) زكى محمد اسماعيل ، مرجع سابق ، ص ٧٢ ـ ٨٢

نسق بنائى متكامل ·· بمعنى أن تدرس الظواهر والنظم الاجتماعيـــة الاسلامية ـ من خلال بنائها الاجتماعى ـ دراسة وصفية تحليلية ترتبط ببعضها البعض ويفسر بعضها البعض الآخر فى نســـق متكامل ، بحيث لا يمكن دراســـة نظام ما بعيـدا عن النظم الاجتماعيـــة الأخـرى ·· فالنظام الســياسى الاســلامى يرتبط بالنظام الاقتصــادى الاســلامى ، على أساس أن كلا من النظامين يرتبط بالشريعة الاسلامية ويستمد منهـا مقوماته ودعائمه الأساسية · كما أن الحاكم السياسى فى الاسلام مسئول عن النظام الاقتصــادى وجباية الأموال والعدل فى التوزيع الاقتصادى وتوفير سبل العيش للشعب وغيرها فى المجتمع الاسلامى ·

٣ ـ التركيز على الدور الطليعى للرواد الأوائل من العلماء المسلمين الذين اهتموا بدراسة الاتجاهات والنظم الاجتماعية من منطلق موضوعى ، وابراز الدور الذى قام به كل منهم فى اثراء الفكر الاجتماعى الاسلامى ، باعتبارهم كانوا نقطة الانطلاق فى نشأة الفكر المنهجى الاجتماعى الاسلامى·

٤ ـ ربط دراسة النظم والأنساق الاجتماعية فى المجتمع الاسلامى وأنه مهما تعددت جماعاتهم وشعوبهم فانهم يجتمعون على عبـادة والثروات الباطنية والصناعات الوطنية والكثافة السكانية ، حتى تكون دراسة المجتمع الاسلامى دراسة شاملة متكاملة ·· فالبيئة والثقافة أمران متصلان ومتفاعلان فيما بينهما ، وان اختلف تأثير كل منهما على الآخر باختلاف طبيعة المجتمع نفسه من حيث تقدمه أو تخلفه ·

٥ ـ دراسة الطرق الصوفية التى انتشرت فى معظم أنحاء المجتمع الاسلامى دراسة منهجية علمية ·· لا من حيث تقييم هذه الطرق ، وانما دراستها دراسة سوسيولوجية من حيث ظواهرها الاجتماعية والأثر المتبادل بينها وبين الثقافة العامة فى مجتمع ما من المجتمعات الاسلامية ·

٦ ـ الاهتمام بدراسة الأقليات الاسلامية أينما وجدت دراسة منهجية سوســـيولوجية ·· فلما كان المســلمون أمة واحــدة ، كما قال تعــالى : « ان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون » · (الأنبياء : ٩٢)

وانه مهما تعددت جماعاتهم وشعوبهم فانهم يجتمعون على عبادة رب واحد ويدينون بدين واحد ويتبعون رسالة رسول واحد ، تجمعهم وحدة الفعل فيما يتصل بخير انفسهم وخير جماعتهم ، بعضهم أولياء بعض .. « .. **يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله** .. (التوبة : ٧١)

الأمر الذى يجعل قوة الايمان وعمق العقيدة أقوى من قرابة الدم فى الامتثال للنصح ووجوب الطاعة . قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** » . (التوبة : ٢٣)

انطلاقا من هذا المفهوم كان على علم الاجتماع الاسلامى الاهتمام بدراسة الأقليات الاسلامية ، من حيث تعداد سكانها ، وقوة العلاقات الاجتماعية فيما بينها وبين سكان المجتمعات التى تعايشها ، والمشكلات الاجتماعية التى تتعرض لها ، وسمات العقيدة الاسلامية التى يدينون بها من حيث العبادات وكيفية مباشرتها واقامة الشعائر .

٧ ـ دراسة الظواهر الثقافية فى المجتمع الاسلامى والتى تباشر باسم الاسلام ، كالاحتفال بالموالد والاعتقاد فى الأولياء ، وزيارة الأضرحة ، وتقديم النذور ، واقامة الزار ، والاعتقاد فى السحر ، الى غير ذلك من الأنماط الثقافية التى تنتشر فى بعض المجتمعات الاسلامية .

* * *

● **مجال علم الاجتماع الاسلامى :**

من خلال العرض السابق لمفهوم علم الاجتماع الاسلامى وأهدافه وموضوعاته التى تلتقى جميعها عند دراسة النظم والظواهر الاجتماعية فى المجتمعات الاسلامية دراسة بنائية وظيفية متكاملة ، يتضح أن علم الاجتماع الاسلامى يمكن أن يتناول مجالات عديدة من القضايا المتسقة

فيما بينهـا بحيث يمكن التحـدث عن ميـادين عـديدة لعـلم الاجتماع الاسـلامى منها(٤٢) :

١ ـ علم الاجتماع العائلى الاسلامى :

وتدور موضوعاته حول البناء الأسرى فى الاسلام ، من حيث نظرة الاسلام الى العائلة وتكوينها ، وطبيعة تشريع الزواج وأهميته والحقوق والواجبات المترتبة عليه لدى كل من الزوجين ، والطبقات التى يحرم بينها التزاوج والقيود التى ترجع الى المصاهرة أو الرضاع ، وتعـدد الزوجات والقيود التى تحد من ذلك . وموقف الاسلام من التوتر العائلى ، والطلاق فى الاسلام وحكمة اباحته وقيوده ، والدعائم التى يقوم عليها نظام الأسرة فى الاسلام ، وتربية الأبناء وما لهم من حقوق وعليهم من واجبات ، ومدى ما وضعه الاسلام من قيود وضوابط عديدة تحقق للأسرة الاستقرار الشامل باعتبارها اللبنة الأساسية فى المجتمع .

٢ ـ علم الاجتماع الحربى الاسلامى أو « علم اجتماع الجهاد » :

ويتناول دوافع الحرب أو « الجهاد » فى الاسلام ، كما يشمل دراسة المغزى الاجتماعى لغزوات الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسبب انتصار المسلمين الأولين الذين سعوا الى الجهاد ابتغاء احدى الحسنيين : النصر أو الشهـادة : « **قل هل تربصـون بنا الا احـدى الحسنيين ..** » .
(التوبة : ٥٢) .

كما يشتمل الموضوع على نظرة مقارنة بين طبيعة الجهـاد فى الاسـلام وظاهرة الحرب كظاهرة اجتماعية كامنة فى طبيعة المجتمع الانسانى لهـا دوافعها العميقة . وتمتد دراسة طبيعة الجهاد الاسـلامى الى الجهاد فى عالمنا الاسلامى المعاصر ودوافعه الأكيدة ، خاصة تلك التى تتصل بتحرير الأوطان الاسلامية كفلسطين والمسجد الأقصا وأفغانستان ، وطبيعة الجهاد لدى الأقليات الاسلامية المنتشرة فى أنحاء العالم .

---

(٤٢) المرجع السابق ، ص ٨٢ ـ ٨٦

٣ ـ علم اجتماع المسجد :

ويعتبر من أهم فروع الاجتماع الاسلامى ، لا باعتبار المسجد نشأ كدار عبادة فحسب ، وانما للدور الطليعى القيادى للمسجد فى الحياة الاجتماعية فى الاسلام ٠٠ فالمسجد فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام قام مقام مجلس الشورى اليوم ، كما تشاور فيه الخلفاء الراشدون فى شئون الحرب والمعاهدات والصلح(٤٣)٠وكانت المساجد فى عهد الازدهار الاسلامى تقوم بدور المعاهد والمدارس والمبرات والنوادى الثقافية فى عصرنا الراهن ٠ كما قامت المساجد بدور الجمعيات الخيرية لجمع الصدقات والزكاة ، وكمستشفيات عسكرية ، ودور للقضاء والصلح بين الناس ، ولضيافة الوفود ٠

ولا يقتصر علم اجتماع المسجد على الخلفية التاريخية لايضاح المعطيات الروحية والاجتماعية لرسالة المسجد ، وانما يتناول موقف المسجد المعاصر واثره فى جمع كلمة المسلمين وتأكيد الصلات بينهم ، وما ينشأ من الظواهر الاجتماعية عند تجمع المسلمين للصلاة فى أيام الجمع والأعياد والصلوات الطارئة كصلاة الاستسقاء وغيرها ٠ كما ينبغى أن تشمل الموضوعات الدراسات الميدانية السوسيولوجية المتعلقة بالمساجد ودورها فى رفع الوعى الاجتماعى الاسلامى من حيث ما بدأت تزخر به المكتبات الاسلامية وما يلحق بها من المراكز الصحية والتعليمية ، ومكاتب تحفيظ القرآن ، وتخريج الدعاة والوعاظ والمرشدين ، الى غير ذلك من الرسالة الثقافية الروحية الشاملة ٠

* * *

---

(٤٣) محمد محمد أبو شهبة ، « رسالة المسجد فى صدر الاسلام » ، مجلة البحوث الاسلامية ٠ الرياض : ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، ١٣٩٦ هـ ، ص ٤٨٥ ـ ٤٩٢ ٠